كامل كيلاني

قصص شكسبير

العاصفة

رسوم : ماهر عبد القادر

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت


كامل كيلاني
قصص شكسبير
العاصفة
رسوم: ماهر عبد القادر
الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت



صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ (٠١) ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ (٠٧) ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

مقدمة الناشر

يُعتبر أدب الأطفال من أصعب الفنون الأدبية الحديثة لأنه لا يترك للأديب حبل الكتابة على الغارب بل يقيّده بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية تجعله أسيراً ولا تسمح له بتجاوزها أو تخطّيها.

وقد دأبنا منذ زمن على اختيار ما يناسب هذا التوجه وارتأينا في هذه الحقبة اختيار مؤلفات الأديب كامل كيلاني وهو أول مَنْ كتب في أدب الأطفال والناشئة في الأدب العربي الحديث، حيث جمع روائع القصص العالمي والغربي والإسلامي وسكبها بأسلوب أدبي مشوّق وهادف أشبع فيها حاجات الناشئة في مختلف الميادين العلمية والمعرفية والتاريخية حتى أدب الرحلات.

من هنا رأينا أن نضع من جديد بين أيدي قرائنا الناشئة الأعزاء ما كتبه أديبنا الراحل بحلّة جديدة ممتعة وهدفنا في ذلك إحياء تراث أدب الأطفال الرائع الذي انفرد به المؤلف بهدف تقوية مدارك الناشئة ومعارفهم وإشباع حاجاتهم عسى أن نكون قد وصلنا بهذه المجموعة المتنوعة والفريدة من القصص إلى مبتغانا بعون الله تعالى.

الناشر



أيها القارئ الصغير:

أنا شـديدُ الإعجابِ بك، كثيرُ الاغْتباطِ، شديدُ الفرحِ، بما أَحْرَزْتَهُ (نِلْتَهُ) من نجاحٍ، عظيمُ الأملِ في تقدُّمِك السَّريع.

وكيف لا أَغْتَبِطُ وتمتلئُ نفسـي سُـرورًا منك، وإعجابًا بك، وأملًا فيـك، بعـد أن رأيتُك تتـدرَّجُ في قراءتك في «مكتبة الأطفـال» بِخُطًى سـريعةٍ: مـن «قِصَصِ رياضِ الأطفـالِ» إلى «القِصَـصِ الفُكاهِيَّةِ» إلى «قِصَـصِ أَلْفِ لَيْلَةٍ» إلى «القِصَصِ الهنديَّةِ» إلى «قِصَصِ جُحا»، ثُمَّ إلى «قِصَصِ شكسبير» هذه.

فإذا انتهيتَ من قراءةِ هذه القصصِ الرائعةِ (التي تُعْجِبُكَ بحُسْنِها)، وأتممتَ قراءةَ ما يليها من القصصِ، أصبح من اليسـيرِ عليك أن تقرأَ «أساطير العالم»، و«أشهر القصص»، و«القصص العلمية»، و«القصص الجغرافية»، و«القصص العربية» وما إليها.

ومتـى أتممتَ قراءتَهـا أصبح في قدرتِك أن ترتقِـيَ منها إلى مكتبة الشباب.

***

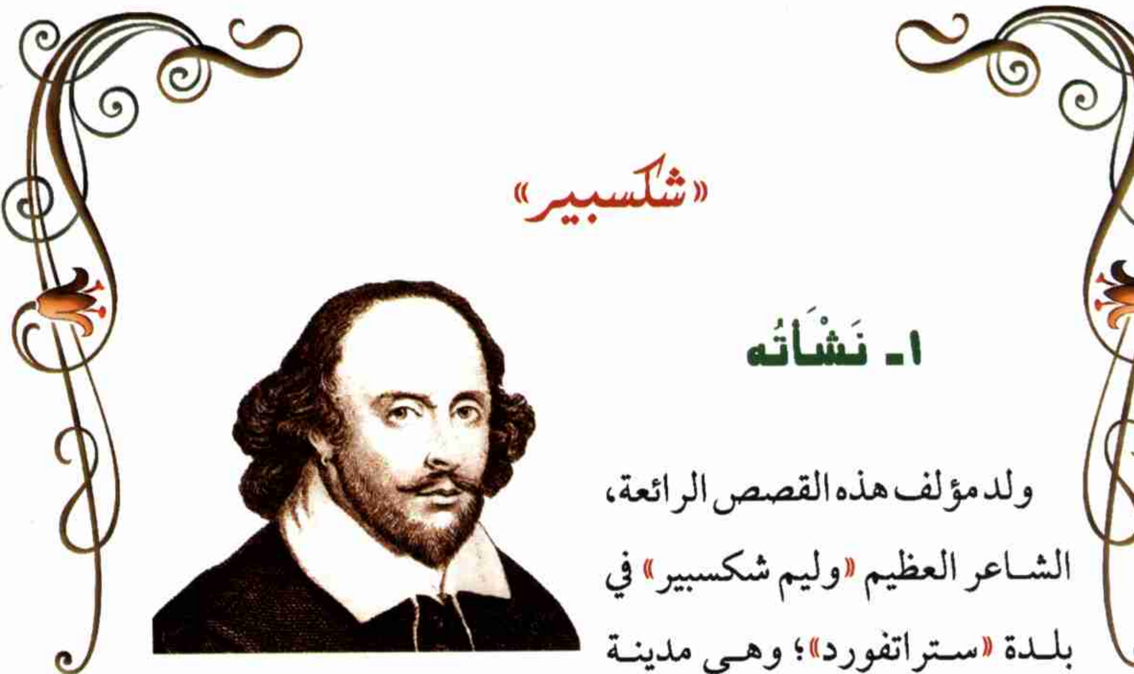
وقد أخذتُ على نفسي أن أُسَهِّلَ عَليك القراءةَ، فأَبْهَجَكَ وأُمْتِعَ نَفْسَكَ، من غير أن أُكَلِّفَكَ أيَّ عناءٍ. وأحسَبُني قد يسَّرتُ أمامك هذه الطريقَ الصَّعْبَةَ، ومَهَّدْتُ لك كُلَّ ما كان يعترضُ طريقَ غيرك من الأطفال، من عقباتٍ مُضْجِرَةٍ، ومتاعِبَ مُمِلَّةٍ، مِمَّا عانيناه نحن في طُفولتنا، وَقاسَيناه.

ولَعَلَّك - أيُّها الصديقُ الصغيرُ - تنتفعُ بما في هذه القصصِ من عِظاتٍ وعِبَرٍ؛ هي اللُّبُّ (الخُلاصَةُ والصَّميمُ) الذي اخترناه لك في طَيِّها، ليكونَ غِذاءَ رُجولتك النبيلةِ، وإلهامَ رُوحِك العالي في مستقبل أيامِك السعيدةِ، إن شاء الله[1].

كامل كيلاني

(١) نثبت مقدمة الطبعة الأولى كما هي في الطبعات السابقة.

«شكسبير»



١ـ نَشْأتُه

ولد مؤلف هذه القصص الرائعة، الشاعر العظيم «وليم شكسبير» في بلدة «ستراتفورد»؛ وهي مدينة صغيرة في «إنجلترا». وكانت ولادته في شهر أبريل عام ١٥٦٤م.

وكان أبوه «جون شكسبير» قَصَّابًا (جَزَّارًا)، وهو ـ إلى ذلك ـ يتجر في الأصواف في تلك المدينة. ولم تكن أمه السيدة «ماري أردن» متعلمة. وكان «شكسبير» أكبر إخوته.

وقد اشتهر أبوه بالكرم وطيبة القلب. وتفشَّى الوباء، وكثر الطاعون وانتشر في شهر يوليو عام ١٥٦٤م، أي في السنة التي ولد فيها «شكسبير»؛ فلم يقصِّر أبوه في معاونة البائسين والمعوزين، فاستنفد ذلك ماله، وَأَفنَى مال زوجه، وأغرقهما الدَّيْن؛ فعجزا عن الوفاء بما عليهما للدائنين. ولم يستطع «شكسبير» أن يتم دروسه التي كان يتلقاها في إحدى المدارس الريفية، بعد أن عجز أبواه عن الإنفاق عليه بسبب فقرهما؛ فلم يمكث في مدرسته إلا زمنًا قصيرًا.



٢ ـ في دُكَّانِ أبِيهِ

ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره، حتى اضطُرَّ إلى احتراف مهنة أبيه بعد أن سُدَّتْ في وجهه كل أبواب الرزق.

ومما يحكونه عنه: أنه كان إذا ذبح عجلًا أو شاة (نعجة)، تَألم لذلك أشد الألم، ووقف يخطب رفاقه ـ في بلاغة مؤثرة ـ ويُظهر أمامهم ما يشعر به من الألم العميق كلما هَمَّ بذبح حيوان.

ولقد قضى «شكسبير» حياته الأولى في هَمٍّ وضنك، وغَمٍّ وضيق، وتزوج وهو في الثامنةَ عشرةَ من عمره، ورُزِق ثلاثة أطفال: ولدًا وبنتين. ولم يكن سعيدًا في زواجه؛ فقد أَلَحَّ عليه الفقر والبؤس، حتى ساءت حاله، واضطرب أمره.

٣ ـ هَرَبُه إلَى «لندن»

ولم يبلغ العشرين حتى أوقعه فقره في مأزق حرج وضيق شديد؛ فقد خرج ذات يوم مع بعض رفاقه، وظلوا يصطادون الغِزلان والأرانب ـ على عادتهم ـ حتى ضبطهم السيد «توماس لوسي» وهم يصطادون في مزرعته في «شرليكونت»، ورافعهم (شكاهم) إلى القضاء؛ فقضى

عليهم بالسجن، وفرض عليهم غُرْمًا فادحًا (عقوبة مالية كبيرة)، فاضطر «شكسبير» إلى الهرب. ولم يصل إلى مدينة «لندن» حتى نظم بعض الأشعار في هَجْوِ السيد «توماس لوسي».

٤- في مَسْرَحِ «لندن»

وظل «شكسبير» يبحث في مدينة «لندن» عن عمل يقتات منه؛ فلم يجد أمامه غير المسرح، وهو - بطبعه - مَيَّالٌ إليه؛ فالتحق به، وتحققت فيه كل أمانيه.

وكان أول عمل عهِدوا به إليه أن يحرسَ جِياد النَّظارة (الخيل التي يملكها جُمهور الناظرين من شُهود التمثيل)، ثم ارتقى فصار مُلَقِّنًا، ثم ممثلًا، ثم مؤلفًا صغيرًا، ثم نابغةً فذًّا (مفردًا) منقطع النظير (لا مثيل له).

ولم يكن في مدينة «لندن» - حينئذٍ - إلا مسرح واحد مبني بالخشب، وليس له سقف. فلما جاء عام ١٥٩١م ظهرت أولى رواياته، وهي قصة: «رُوميو وجُولِيت»، فنجحت نجاحًا باهرًا، وأُعْجِبَ بها جمهورُ النَّظارة إعجابًا شديدًا، وكانت سِنُّهُ - حينئذٍ - سبعة وعشرين عامًا.



٥ ـ في ذِرْوَةِ المَجْدِ

ثم توالى نجاحه، وذاع فضله، حتى دعتْه ملكة إنجلترا «إليصابات» ليمثِّلَ أمامها روايته التي ألفها عن أبيها «هنري الرابع». وقد كان لتشجيعها أكبر أثر في نفسه، فتغنَّى بفضلها في شعر رائع.

ولم يبلغ السابعة والأربعين حتى أتم ستًّا وثلاثين رواية تمثيلية بعضها دِراما، وبعضها كوميدْيا. وكان يؤلف في كل عام روايتين تقريبًا.

وهكذا ابتسم له الحظ، وصَفَتْ له الأيام، ونَمَت ثروته؛ فأنقذ أباه من الفقر، وَوَفى دَيْنه، وأسعد أسرته.

ومازال يرتقي ويكبر شأنه ويذيع فضله، حتى أصبح من أفذاذ شعراء العالم وعظماء الفكر الإنساني، فتُرْجِمَتْ رواياته الرائعة (التي تَرُوعُك وتُعْجِبُك بحسنها) إلى أكثر اللغات.

وسترى ـ أيها القارئ الصغير ـ في هذه الروايات ما يَبْهجك من أسمى ألوان الخيال العالي التي جاد بها هذا الشاعر العظيم، وبدائع الصور البيانية التي ابتدعتها طبيعة نفسه الفنية الشاعرة.

كامل كيلاني

فاتِحَةُ القِصَّةِ

١ ـ تَمْهِيدٌ

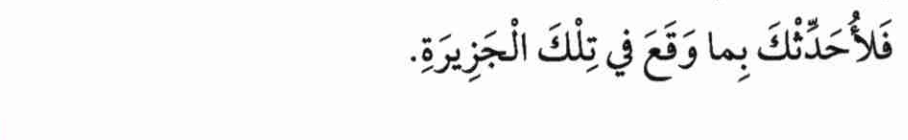
لَعلَّكَ تَعْرِفُ ـ أَيُّهَا الْقارِئُ الصَّغِيرُ ـ اسْمَ ذلِك الْبَحْرِ الكَبِيرِ الذِي يَفْصِلُ الْقَـارَّةَ الإفْرِيقِيَّةَ عَنِ الْقارَّةِ الأُورُبِّيَّةِ، وَلَعلَّكَ قَدْ وَقَفْتَ ـ ذاتَ يَوْمٍ ـ عَلَى شاطِئِ هذا الْبَحْرِ الْعَظيمِ، وَرَأَيْتَ ماءَهُ الأَزْرَقَ! فَإِذا كُنْتَ لَمْ تَرَ هذا الْبَحرَ في حَياتِكَ ـ مَرَّةً واحِدةً ـ فمَا أَحْسَبُكَ تَجْهَلُ اسْمَهُ؛ فَقَدْ أَخبَرَتْكَ بِهِ كُتُبُ الْجُغْرافِيا.

لَعلَّكَ تَذْكُرُ الآنَ أَنَّ اسْمَ هذا الْبَحْرِ الْواسِعِ الْعَمِيقِ، هُوَ «الْبَحْرُ الأَبْيَضُ الْمُتَوسِّطُ». وَلَعلَّكَ تَعْرِفُ ـ إِلَى هذا ـ أَنَّ في ذلِكَ الْبَحْرِ كَثيرًا مِنَ الْجَزائِرِ!

عَلَى أَنَّ الْجَزائِرَ الكَثِيرةَ لا تَعْنينا في هذِهِ الْقِصَّةِ.

إِنَّما تَعْنينا جَزِيرَةٌ واحِدَةٌ كانَتْ بَيْنَ «إِيطالْيا» وَ«تُونُسَ».

فَلأُحَدِّثْكَ بِما وَقَعَ في تِلْكَ الْجَزِيرَةِ.



٢ ـ «بُرُسبيرو» و «ميرندا»

لَـمْ تكُنِ الْجَزِيرَةُ مُقْفِرَةً (خاليةً مِـنَ النَّاسِ). وَلَوْ كانَتْ كَذلِكَ لَما حَدَثَتْ فيها هذِهِ القِصَّةُ الْجَميلَةُ الَّتي أُريدُ أَنْ أَقُصَّها عَلَيْكَ.

كانَ يَعِيـشُ في الْجَزِيـرَةِ شَـيْخٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ، صافي النَّفْسِ، اسْـمُهُ: «بُرُسْـبيرُو» وَمَعَهُ فَتاةٌ وَدِيعَةٌ هادِئَةٌ، كَرِيمَةُ النَّفْسِ، اسْمُها: «مِيرَنْدا». وَقَدْ عاشَـتْ مَعَ أَبيها: «بُرُسْبِيرو» في تلـكَ الْجَزِيرَةِ مُـدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، وكانَـتْ قَدْ وَفَـدَتْ (قَدِمَتْ) مَعَهُ إلَيْها وهي طِفْلَـةٌ صَغِيرَةٌ؛ فَلَمْ تَذكُرْ أَنَّها رَأَتْ وَجْهَ إِنْسانٍ آخَرَ غَيْرَ أَبيها.

وَكانَـتْ «مِيرَنْـدا» هـذِهِ لَطِيفَةً، جَمِيلَـةَ الْخَلْـقِ وَالْخُلُقِ (حَسْـناءَ الصُّـورَةِ، كَرِيمَـةَ الْفَعـالِ). أَمَّا شَـعْرُها فَمُرْسَـلٌ عَلَى كَتِفَيْها (مُسْبَلٌ غَيْرُ مَضْفُورٍ)، وَأَمَّا صَوْتُها فَمُنْسَـجِمٌ مُوسِـيقِيٌّ، لا تَرْفَعُهُ ثَوْرَةُ الْيَأْسِ والْغَضَبِ.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّ «مِيرَنْدا» قَدْ جَمَعَتْ ـ إِلَى جَمَالِ الْوَجْهِ ـ رَجاحَةَ الْعَقْلِ؛ فَأَحَبَّها أَبُوها حُبًّا شَـدِيدًا، وَأَصْبَحَتْ سَلْوَتَهُ وَعَزاءَهُ وَسعادَتَهُ في الْحَياةِ. وَقَدْ مَرَّتْ بِهِمَا الأَيَّامُ هَنِيئَةً رَغِيدَةً، وصَفا عَيْشُهُمَا، وطابَ لَهُمَا الْمُقامُ.





٣ ـ بَيْتُ «بُرُسْبِيرُو»

وكانَ «بُرُسْبيرُو» قَدِ اتَّخَذَ لَهُ بَيْتًا في تِلْكَ الْجَزِيرَةِ في أحَدِ الكُهُوفِ، وقَسَمَهُ ثَلاثَ غُرَفٍ: أُولَاهَا لِـ «مِيرَندا»، والثَّانيَةُ لِلْمائِدَةِ حَيْثُ يَأْكُلُ مَعَ ابْنَتِهِ، والثَّالِثَةُ لِمَكْتَبَتِهِ حَيْثُ يَقْضِي جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِ في مُطالَعَةِ كُتُبِ السِّحْرِ ودَرْسِ فُنُونِهِ. وقَدْ كانَ يَحْرِصُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ أَشَدَّ الْحِرْصِ، ويُعَلِّقُ عَلَيْهَا أَكْبَرَ الآمالِ.

ولَمْ يَكُنْ «بُرُسْبيرُو» يَعْرِفُ هذِهِ الْجَزيرَةَ قَبْلَ مَجِيئِهِ إلَيْهَا، ولَمْ يَخْتَرْها سَكَنًا لَهُ. ولَمْ يَدُرْ بِخَلَدِهِ (لَمْ يَمُرَّ بِخاطِرِهِ) ـ مِنْ قَبْلُ ـ أنَّ هذِهِ الْجَزِيرَةَ الْمَجْهُولَةَ سَتَكُونُ وطَنَهُ ووَطَنَ ابْنَتِهِ عِدَّةَ سَنَواتٍ؛ فَقَدْ جاءَ الْجَزِيرَةَ كما اتَّفَقَ (مُصادَفَةً)، واضْطَرَّتْهُ الْمقادِيرُ (ما يُقَدِّرُهُ الله مِن الْحَوادِثِ) إلى الْبَقاءِ فيها حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَعُودَ إلى وطَنِهِ.

٤ ـ السَّاحِرَةُ «سِكُورَكْس»

ولَمَّا حَلَّ «بُرُسْبيرُو» بِالْجَزِيرَةِ عَرَفَ كَثِيرًا مِن الأَسْرَارِ الْعجِيبَةِ الَّتِي هَدَتْهُ إِلَيْهَا فُنُونُ سِحْرِهِ. ولَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَتَعَرَّفَ هذهِ الأَسْرارَ لَوْلا خِبْرَتُهُ الْواسِعةُ بأساليبِ السِّحْرِ وَفُنُونِهِ.

فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ساحِرَةً خَبيثَةً اسْمُها: «سِكُورَكْس» كانَتْ تَسْكُنُ الجزيرةَ مِنْ قَبْلِه، وأنَّها اسْتطاعَتْ ـ بِما أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةِ السِّحْرِ وسُلْطانِهِ ـ أنْ تَمْلأَ الْجَزيرَةَ بطائِفَةٍ مِنْ أَشْرارِ الْجِنِّ.

ولَمْ تَشَأْ أَنْ تَتْرُكَ أَخيارَهُمْ أَحرارًا، وأَبَى عَلَيْها خُبْثُها ولُؤْمُها إلَّا أنْ تَسْجُنَهُمْ في جُذُوعِ الأَشْجارِ.

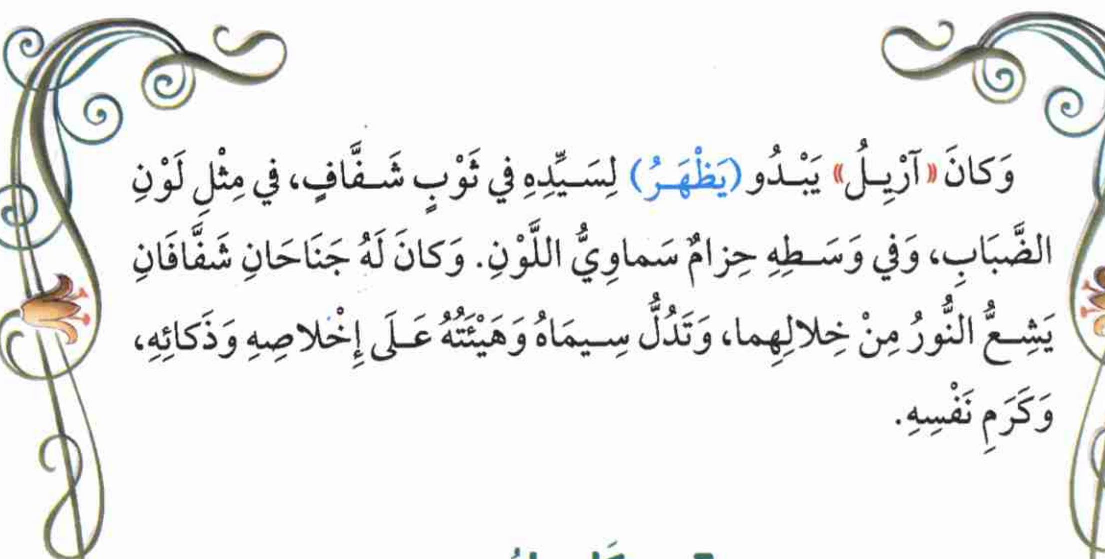
فَلَمَّا ماتَتْ تِلْكَ السَّاحِرَةُ الْخَبيثَةُ، اسْتَطَاعَ «بُرُسْبيرُو» ـ بِما أُوتيَ مِنْ سُلْطَانِ السِّحْرِ ـ أَنْ يُطْلِقَ سَراحَ هؤُلاءِ الْجِنِّ الأَخْيارِ الَّذِينَ أَسَرَتْهُمُ السَّاحِرةُ، وَأَنْ يَتَّخِذَ مِنْهُمْ أعْوانًا وَخَدَمًا يُؤَدُّونَ لَهُ كُلَّ ما يَحْتاجُ إلَيْهِ.

٥ ـ «آرِيل»

وَكانَ مِنْ بَيْنِ هؤُلاءِ الْجِنِّ الأَخْيارِ الَّذِينَ أَطْلَقَ «بُرُسْبيرُو» سَراحَهُمْ ـ بَعْدَ مَوْتِ السَّاحِرَةِ الْخَبيثَةِ ـ جِنِّيٌّ كَرِيمُ النَّفْسِ، قَوِيُّ الْبَأْسِ (عَظِيمُ الشَّجاعَةِ، شَدِيدُ الْبَطْشِ والفَتْكِ)، اسْمُهُ: «آرِيلُ». وَكانَ جَمِيعُ سُكَّانِ الْجَزيرَةِ مِنَ الْجِنِّ يَخْضَعُونَ لَهُ، وَيَدِينُونَ (يُذْعِنُونَ) بِالزَّعَامَةِ لِقُوَّتِهِ.

وَقَدْ أَخْلَصَ ذلِكَ الْجِنِّيُّ الكَرِيمُ لِسَيِّدِهِ «بُرُسْبيرُو» الَّذي أَنْقَذَهُ مِنْ سِجْنِهِ، وَأَصْبَحَ لَهُ خادِمًا أَمِينًا لَا يَعْصِي لَهُ أَمْرًا، ولا يَتردَّدُ في تَلْبيَةِ كُلِّ ما يَطْلُبُهُ.





وَكانَ «آرْيـلُ» يَبْـدُو (يَظْهَـرُ) لِسَـيِّدِهِ في ثَوْبٍ شَـفَّافٍ، في مِثْلِ لَوْنِ الضَّبابِ، وَفي وَسَـطِهِ حِزامٌ سَماوِيُّ اللَّوْنِ. وَكانَ لَهُ جَناحانِ شَفَّافانِ يَشِـعُّ النُّورُ مِنْ خِلالِهِما، وَتَدُلُّ سِـيماهُ وَهَيْئَتُهُ عَـلَى إِخْلاصِهِ وَذَكائِهِ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ.

٦ ـ «كَليبانُ»

وَكانَ إِلَى جانِـبِ ذلِـكَ الْجِنِّيِّ الظَّرِيفِ الْوَفِيِّ شَـيْطانٌ آخَرُ اسْـمُهُ: «كَليبانُ» وَهُوَ ابْنُ السَّـاحِرَةِ الْخَبيثَةِ «سِـكُورَكْسَ» الَّتي حَدَّثْتُكَ عَنْها مِنْ قَبْلُ.

وَكانَ «كَليبـانُ» دَمِيمَ الصُّـورَةِ، قَبِيحَ الْوَجْهِ، سَـيِّءَ الْخُلُقِ، خبيثَ النَّفْـسِ؛ كمـا كانَ أَشْـعَثَ (مُتفَرِّقَ الشَّـعَرِ)، كَرِيهَ الْمَنْظَـرِ، وَقَدْ نبتَ الشَّعَرُ الْكَثِيفُ عَلَى ذِراعَيْهِ وَساقَيْهِ فَغَطَّاها، وَجَعَلَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْحَيَوانِ مِنْهُ إِلى الإِنْسانِ.

وَلَـمْ يَكُـنْ ـ مُنْذُ نَشْـأَتِهِ ـ قادِرًا عَـلَى النُّطْقِ، كما تَنْطِـقُ أَيُّها القارِئُ الْعَزِيـزُ، بَلْ كانَ لَهُ صَوْتٌ مُزْعِجٌ أَشْـبَهُ بِعُواءِ الذِّئْـبِ أَوْ نَبحِ الكَلْبِ، مِنْهُ بِصَوْتِ الآدَمِيِّ.

فَهُـوَ ـ في أغْلَبِ الأَحايِيـنِ ـ يَصْرُخُ وَيَهْدِرُ (يُرَدِّدُ صَوْتَهُ في حَنْجَرَتِهِ

كَمـا يَفْعَلُ الجَمَـلُ)، ويُعَوِّي في صَخَـبٍ (ضَجِيجٍ) مُفَزِّعٍ، وَتَسْـتَوْلي عَلَيْهِ بَواعِثُ الغَضَبِ لأَتْفَهِ الأشْـيَاءِ؛ فَتَتَجَلَّى الشَّراسَـةُ (سُـوءُ الخُلُقِ وَكَثْرَةُ العِنادِ) والقَسْوَةُ والعُنْفُ في كلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكاتِهِ.

٧ ـ بَيْنَ «آزيلَ» و «كَليبانَ»

وكانَ هذا الشَّـيْطانُ الخَبيثُ أَسْـوَأَ رَفِيقٍ لـ «بُرُسْـبِيرُو». ولَمْ يَكُنْ لِصاحِبِنَا «بُرسبِيرو» بُدٌّ ولا خَلاصٌ مِنْ مُصاحَبَتِهِ.

وَكانَ «بُرُسْبِيرُو»: والِدُ «مِيرَنْدا» ـ عَلى ما وَهَبَهُ اللهُ مِنْ جَمالِ الخُلُقِ، وصَفاءِ النَّفْسِ ـ مُضْطَرًّا إِلَى مُعامَلَةِ «كَلِيبانَ» بِقَسْـوَةٍ وفَظاظَةٍ، وَغِلْظَةٍ وَخُشُونَةٍ. فَأَصْبَحَ يُسَخِّرُهُ، وَيَسْتَخْدِمُهُ في قَطْعِ الأَخْشابِ وَحَمْلِها إِلَى دارِهِ، كما يُسَـخِّرُهُ في أداءِ كلِّ عَمَلٍ شـاقٍّ؛ حَتَّى لا يَدَعَ لِذَلِكَ الشِّرِّيرِ الْخَبيثِ وَقْتًا منْ أَوْقاتِ الفَراغِ يَصْرِفُهُ في الشَّرِّ والضَّرَرِ.

وكان كُلَّما عَمَدَ إِلَى الكَسَلِ، أَوْ تَهاوَنَ في أَداءِ ما عَلَيْهِ مِنَ الفُرُوضِ والواجِبَـاتِ، هَدَّدَهُ «آزِيـلُ» بالعِقابِ، وصَرَفَهُ إِلى واجِبِـهِ، وأَنْذَرَهُ في قَسْـوَةٍ وعُنْفٍ بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَخِفَّ إِلى أداءِ واجِبِهِ ـ في إِخْلاصٍ ونَشـاطٍ ـ سَـحَقَهُ، أَوْ نَـكَّلَ بِه شَـرَّ تَنْكِيلٍ، وآذاهُ شَـرَّ أَذِيَّـةٍ، أَوْ أَلْقَى بِـهِ في أَقْذَرِ مُسْتَنْقَعٍ.



وكانَ «آرْيـلُ» قادِرًا عَلى التَّحَوُّلِ في أيِّ شَـكْلٍ شـاءَ: فَتـارَةً تَراهُ في شَـكْلِ وَحْشٍ، وثانيَةً في شَكْلِ قِرْدٍ، وَثالِثَةً في شـكْلِ قُنْفُذٍ، وغَيْرِ تِلْكَ مِنَ الأشْـكالِ الْمُفَزِّعَةِ الَّتـي تَمْلأُ نَفسَ «كليبانَ» رُعْبًـا، وتَضْطَرُّهُ إلى تَلْبِيَةِ أمْرِهِ، والخُضُوعِ لإِشارتِهِ.

ولَيْسَ في وُسْـعِ «كَليبانَ» أَنْ يَنْتَقِمَ لِنَفْسِـهِ مِنْ «آرْيَلَ» إلَّا بِالسِّـبابِ والشَّـتْمِ وتَعْبِيسِ الوجْـهِ وتَقْطِيبِـهِ. ولَمْ يَكُنْ شَـيْءٌ مِنْ هـذا لِيَضِيرَ «آرْيَلَ» أو يُخْيفَهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّـتْمَ والسِّـبابَ أَضْعَـفُ حِيلَةٍ يَلْجَأُ إِلَيْهَا العاجِزُ الضَّعِيفُ، وهما دَليلَانِ على سُوءِ الأَدَبِ وخُبْثِ النَّفْسِ.

وما أَحْسَـبُكَ - أَيُّهَا الصَّغِيرُ العزيزُ - تَرْضَى عَنْ خُلُقِ «كليبانَ»، أَوْ تَرْضَى عَمَّنْ يُقَلِّدُهُ فِيهِ.

٨ - مَزايا «آزيلَ»

أَمَّا «آرْيلُ» فَهُوَ - عَلَى العكْسِ مِنْ صاحِبِهِ - دائِمُ الابْتِسَـامِ، شـديدُ النَّشاطِ، كَثِيرُ الْحَرَكَةِ. وهُوَ - كما قُلْنَا - قادِرٌ عَلَى التَّحَوُّلِ إلى أيِّ صُورةٍ أَرادَ، وَفْـقَ ما يَحْلُو لَهُ؛ فَتـارةً تُلْفِيهِ قَدْ تَحَوَّلَ إلى فَتاةٍ جَمِيلَةٍ تَحْمِلُ في يَدِهَا طاقَةً من الزَّنْبَقِ، وَتارةً تَراهُ في صُورَةِ عُصْفورٍ.

وكانَ ـ إلى ذلكَ ـ مُغَنِّيًا حَسَنَ الصَّوْتِ، رائِعَ الغِنَاءِ؛ فأصبح أُنْسَ رِفَاقِهِ الْجِنِّ. وَقد كانُوا يُحِبُّونَهُ أَشَدَّ الْحُبِّ، وَكثِيرًا ما غَنَّاهُم أَطْيَبَ الأَغاني وأَعْذَبَ الأناشِيدِ.

وَكانَ ـ إلى ذلكَ ـ يُهَيْمِنُ عَلَى الرِّياحِ، وَيُسَيْطِرُ عَلَى أمْواجِ الْبَحْرِ. فَإِذا شاءَ أَحْدَثَ عاصِفَةً هَوْجاءَ (زَوْبَعَةً تَهُبُّ في نَوَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ)، وَأثارَ أمْوَاجَ الْبَحْرِ، وأغرقَ السُّفُنَ وَراكبِيها، وَإذا شاءَ سَكَّنَ الْعاصِفَةَ، وَجَعَلَ أَمْواجَ الْبَحْرِ هادِئَةً، فَسارَتِ السُّفُنُ في سَلامٍ وطُمَأْنينَةٍ.





الفَصْلُ الأوَّلُ

١ ـ هُبوبُ الْعَاصِفَةِ

أَثارَ «بُرُسبِيرُو» ـ ذاتَ يَوْمٍ ـ عاصِفَةً هَوْجاءَ في ذلِكَ الْبَحْرِ الْعَظِيمِ. ولَمْ يَدْرِ أَحَدٌ ـ حِينَئِذٍ ـ لأَيِّ سَبَبٍ خَفيٍّ أثارَ «بُرُسْبِيرُو» هذِهِ الْعاصِفَةَ! وَقَدْ كانَ مِنَ الْمُسْتَطاعِ أَنْ يَرَى الإِنْسَانُ في ذلِكَ الْوَقْتِ ـ إذا وَقَفَ عَلَى شاطِئِ الْجَزِيرَةِ ـ ارْتِفاعَ الأَمْواجِ واصْطِخَابَهَا (تَخَبُّطَهَا وشِدَّةَ اخْتِلاطِ أَصْواتِها)، وَيَشْهَدَ اضْطِرابَ الْبَحْرِ وَهِياجَهُ، حَتَّى لَيُخَيَّلُ إِلَيْه أنَّ أَمْواجَ الْبَحْرِ تُرِيدُ أَنْ تَرْتَفِعَ لِتَبْلُغَ أعْنانَ السَّماءِ (نَواحِيَهَا)، فَتَشْتَبِكَ مَعَهَا في حَرْبٍ طاحِنَةٍ. وَقَدِ ارْبَدَّ لَوْنُ السَّماءِ واغْبَرَّ، وَأَصْبَحَ كالرَّصَاصِ، وَاسْتَحَالَ ضَوْءُ النَّهارِ إِلَى ظَلامٍ حالِكٍ.

وَلاحَتْ ـ مِنْ بَعِيدٍ ـ سَفِينَةٌ مُلْتَهِبَةٌ، تُرْقِصُهَا الأَمْواجُ، وَتَلْعَبُ بِها، وَتتَقَاذَفُها كالْكُرَةِ.

٢ ـ حُزْنُ «مِيرَنْدا»

وَلَمْ تَرَ «مِيرَنْدا» هذا الْمَنْظَرَ الْمُفَزِّعَ حَتَّى صاحَتْ مَذْعُورَةً ـ وَقَدْ مَلأَ الْخَوْفُ قَلْبَهَا ـ وَقالَتْ لأَبِيها:



«انْظُرْ ـ يا أَبَتِ ـ إِلَى هذهِ السَّفِينَةِ الْحائِرَةِ، واسْتَمِعْ إِلَى صَرَخاتِ مَنْ فِيها، واسْتِغاثاتِهِمُ الْمُتَصاعِدَةِ فِي الْفَضاءِ، وقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْغَرَقِ! إِنَّ قَلْبِي لَيَكادُ يَنْفَطِرُ (يَنْشَقُّ) حُزْنًا عَلَى مَنْ فِيها مِنَ النَّاسِ. ومَا أَحْسَبُ هؤُلاءِ الْمَساكِينَ إِلَّا هالِكِينَ الآنَ!

تُرَى ـ يا أَبَتِ ـ مَنِ الَّذِي أَثارَ الْعاصِفَةَ الْهَوْجاءَ؟ وأَيُّ قَسْوَةٍ دَفَعَتْهُ إِلى إِثارَتِها؟ أَلا تَرْحَمُ ـ يا أَبِي ـ هؤُلاءِ الْمَساكِينَ وَتُنْقِذُهُمْ مِنَ الْهَلاكِ؟ أَلا تَأْمُرُ الْعاصِفَةَ بِالسُّكُونِ، فَتُنْقِذَ حَياةَ الْمُعَذَّبِينَ؟».

فَأَجابَها «بُرُسبِيرُو»، فِي حَنانٍ وَعَطْفٍ:

«هَوِّنِي عَلَيْكِ ـ يا بُنَيَّتِي ـ وَثِقِي أَنَّ الْعَاصِفَةَ سَتَنْتَهِي بِسَلامٍ، ولَنْ يُصابَ أَحَدٌ مِمَّنْ فِي السَّفِينَةِ بِأَقَلِّ ضَرَرٍ».

فقالَتْ «مِيرَنْدا» وَقَدْ فاضَتْ عَيْناها بِالدُّمُوعِ:

«آهٍ! يا لَهُ مِنْ يَوْمٍ مَشْئُومٍ مُفْزِعٍ!».

٣ ـ حِوارٌ عَجِيبٌ

فَقالَ «بُرُسبِيرُو» لابْنَتِهِ «مِيرَنْدا»:

«سَكِّنِي ـ يا عَزِيزَتِي ـ مِنْ رَوْعِكِ، وَهَدِّئِي مِنْ فَزَعِكِ، وَلا تَخْشَيْ شَيْئًا؛ فَإِنِّي لَمْ أُثِرِ الْعاصِفَةَ إِلَّا حُبًّا فِيكِ، وَتَوَخِّيًا لِمَصْلَحَتِكِ (تَحَرِّيًا

لِنَفْعِكِ)، وَإنْ كُنْتِ لا تَزالينَ تَجْهَلينَ الأَسْبابَ الَّتِي تَحْفِزُني (تَدْفَعُني) إلَى هذا الْعَمَلِ، وَتَحْكُمِينَ عَلَيَّ بِالْقَسْوَةِ مِنْ غَيْرِ أنْ تَعْلَمِي حَقِيقَةَ ما أُريدُ!

أَلَمْ تَسْأَلي نَفْسَكِ، يا بُنَيَّتِي - في بَعْضِ الأَحايينِ - عَنْ أَبيكِ: مَنْ هُوَ؟ وكَيْفَ كانَ؟ ولِماذا نُفِيَ إلى هذهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْقَصِيَّةِ الْبَعيدةِ)؟».

فَقالَتْ لَهُ «مِيرَنْدا»:

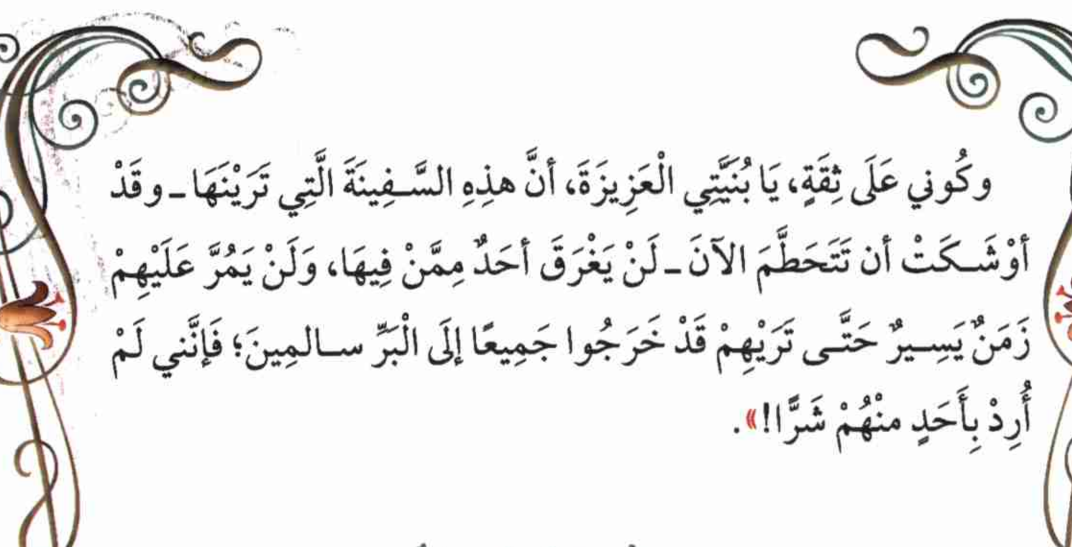
«كَلَّا - يا أَبَتِ - لَمْ أُفكِّرْ في شَيْءٍ مِنْ هذا قَطُّ».

فَقالَ لَها:

«إذَنْ فَقَدْ حانَ الوَقْتُ الَّذي أُكاشِفُكِ فِيهِ بِالْحَقِيقَةِ، فَأَصْغِي إلَى ما أَقُصُّهُ عَلَيْكِ، لِتَتَعَرَّفي حَقِيقَةَ أَمْرِنا جَمِيعًا.

عَلَى أَنَّني أُحِبُّ أَنْ أُطَمْئِنَكِ - قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - عَلَى مَصِيرِ السَّفِينَةِ وَراكِبِيها، فَأُقَرِّرَ لَكِ أَنَّ الْعاصِفَةَ - الَّتِي أَزْعَجَتْكِ ومَلأَتْ قَلْبَكِ فَزَعًا وَخَوْفًا وهَلَعًا - سَتَنْتَهِي بِسَلامٍ؛ فَقَدْ أَثَرْتُها بِفُنُونِ السِّحْرِ وَبَعَثْتُها، ولكِنَّني أَخذْتُ عَلَى نَفْسِي عَهْدًا وَثِيقًا أَلَّا أُغْرِقَ أَحَدًا مِنْ رَكْبِ السَّفِينَةِ، وَنَوَيْتُ أَنْ أُنْقِذَهُمْ جميعًا بَعْدَ أَنْ أُذِيقَهُمْ مِنْ ضُرُوبِ الأَهْوَالِ ما لا يَمُرُّ لَهُمْ عَلَى بالٍ! فَلا يَهُولَنَّكِ ما تَرَيْنَهُ، وَلا يُفَزِّعَنْكِ ما تُبْصِرِينَهُ (لا يُخَوِّفَنْكِ ما تَنْظُرِينَهُ).





وكُوني عَلَى ثِقَةٍ، يا بُنَيَّتِي الْعَزِيزَةَ، أنَّ هذِهِ السَّـفِينَةَ الَّتِي تَرَيْنَهَا ـ وقَدْ أوْشَـكَتْ أن تَتَحطَّمَ الآنَ ـ لَنْ يَغْرَقَ أحَدٌ مِمَّنْ فِيهَا، وَلَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِمْ زَمَنٌ يَسِـيرٌ حَتَّـى تَرَيْهِمْ قَدْ خَرَجُوا جَمِيعًا إلَى الْبَرِّ سـالِمِينَ؛ فَإنَّني لَمْ أُرِدْ بِأَحَدٍ منْهُمْ شَرًّا!».

٤ ـ ذِكْرياتٌ مُحْزِنَةٌ

وَحِينَئِذٍ تَوَقَّفَ «بُرُسْـبيرو» عَنِ الْكَلامِ قليلًا، ثُمَّ اسْـتَأْنَفَ (عادَ إلى الْكَلامِ) قائِلًا:

«ألا تَسْتَطِيعِينَ ـ يا «مِيرندا» ـ أنْ تَعُودِي بذَاكِرَتِكِ إلى أيَّامِ طُفُولَتِكِ الأُولَى؛ لَعَلَّكِ تَذْكُرِينَ وَقْتًا قَضَيْتِه في غَيْرِ هذِهِ الْمَغارَةِ؟!

ما أحْسَبُكِ تَذْكُرِينَ شَيْئًا مِن ذلِكِ، فَقَدْ كُنْتِ في الثَّالِثةِ مِنْ عُمُرِكِ».

فجَمَعَتْ «ميرندا» كُلَّ فِكْرِها، ثُمَّ قالَتْ لأبيها:

«نَعَمْ، بَدَأْتُ أذْكُرُ ـ يا أَبَتِ ـ شَيْئًا مِنْ ذلِكَ الْعَهْدِ السَّعِيدِ. وَإنِّي لأَذْكُرُهُ كما أَذْكُرُ حُلْمًا، وَأَحْسَبُني كُنْتُ أرَى خَمْسَ نِسَاءٍ يَخْدُمْنَني!».

فقال لها «بُرسبيرو»:

«لقد مَضَى ـ يا بُنَيَّتِي ـ عَلَى ذلِكِ الْعَهْدِ اثْنا عشَـرَ عامًا، وَكانَ أَبُوكِ ـ حِينَئِذٍ ـ أميرَ «مِيلانَ» وحاكِمَها».

فَقالَتْ لَهُ «ميرندا»، وقَدْ عَراها (أصابَها وألَمَّ بها) شَيْءٌ مِنَ الذُّهُولِ والاضْطِرابِ:

«لسْتُ أفهَمُ ما تَعْنيهِ - يا أبي - بِهذا الْقَوْلِ؛ فَأَفْصِحْ لي عَمَّا تُرِيدُ، وخَبِّرْني إذن: كَيْفَ حالَتْ - بَعْدَ ذلِكَ - حالُنا (كَيْفَ تحوَّلَتْ وتَغَيَّرتْ)؟ وَكَيْفَ أَقْصَوْكَ عَنْ إمارَةِ «مِيلانَ»؟ وَلِماذا أَبْعَدُوكَ وَجَرَّدُوكَ مِنْ حُكْمِها؟».

٥- قِصَّةُ «بُرُسْبِيرو»

- «أَلَا تَذْكُرِينَ - يا بُنَيَّتِي - أيْنَ كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَجِيءَ إلَى هذِهِ الْجَزِيرَةِ؟».

- «كَلَّا. لا أَذْكُرُ شَيْئًا مِن ذلِكَ، يا أَبَتِ».

- «كُنْتُ - مُنْذُ اثْنَيْ عَشَرَ عامًا - أَمِيرَ «مِيلانَ»، وكُنْتِ أَنْتِ وارِثَتِي الْوَحِيدَةَ».

- «فَماذا حَدَثَ، يا أَبَتِ؟ وكَيْفَ انْتَقَلْنا إلَى هذِهِ الْجَزِيرَةِ؟».

- «لَقَدْ نُفِينا مِنْ بلادِنا نَفْيًا، وَقَدْ أَوْشَكَتْ (قَرُبَتْ) دَسائِسُ الأَعْداءِ أَنْ تَقُودَنا إلَى الْهَلاكِ. وَلكِنَّ عِنايَةَ اللهِ - وَحْدَهُ - قَدْ أَنْقَذَتْنا مِنْ كَيْدِهِمْ، وَأَوْصَلَتْنا إلَى الْجَزِيرَةِ سالِمَيْنِ».

- «أَيُّ كَيْدٍ، وَأَيُّ دَسائِسَ، يا أبي؟ إنَّ الْحُزْنَ لَيَمْلأُ نَفْسِي لِهَوْلِ ما أَسْمَعُ!».

- «كَيْدُ أَخِي «أَنْطُنْيُو» ودَسائِسُهُ!

نَعَمْ، كَيْدُ «أَنْطُنْيُو» عَمِّكِ الْغادِرِ. فَقَدْ فَوَّضْتُ إِلَيْهِ إمارَتي، وتَرَكْتُ لَهُ إدارَةَ الْحُكُومَةِ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى دَرْسِ فُنُونِ السِّحْرِ.

وكانَ عَمُّكِ... آهِ... أَمُنْتَبِهَةٌ أَنْتِ إِلَى ما أَقُولُ؟».

- «كُلَّ الانْتِبَاهِ، يا أبي».

- «كانَ عَمُّكِ طامِعًا في الانْفِرَادِ بِالْمُلْكِ؛ فَبَذَلَ جُهْدَهُ عامِلًا عَلَى إِقْصَائِي عَنْ بِلَادي؛ لِيَخْلُوَ لَهُ الْجَوُّ.. أَمُصْغِيَةٌ أَنْتِ إِلَيَّ؟».

- «نَعَمْ، فَإِنَّ كَلامَكَ - يا أبي - يَشْفِي الأَصَمَّ منْ صَمَمِهِ (يُعِيدُ حاسَّةَ السَّمْعِ إِلَى مَنْ فَقَدَهَا)».

- «وكانَ أَخِي هذَا غادِرًا خَئُونًا كالثُّعْبانِ. وقَدْ صَفَوْتُ لَهُ، وَوَثِقْتُ كُلَّ الثِّقَةِ بِهِ، ومَنَحْتُهُ كُلَّ حُبِّي؛ فكانَ جَزَائِي عَلى ذلِكَ أَنْ غَدَرَ بي، وَنَسِيَ ما غَمَرْتُهُ بِهِ مِنْ عَطْفٍ وحُبٍّ. فَتَحَالَفَ هُوَ وَمَلِكُ «نابُولي» وَاتَّفَقا جَمِيعًا عَلَى نَفْيِي مِنَ الْمَدِينَةِ. وَاسْتَوْلَى أَخِي عَلَى السُّلْطانِ، وأَمَرَ بِوَضْعِنا - أنا وأَنْتِ - في زَوْرَقٍ، حَتَّى أَصْبَحْنا في عُرْضِ الْبَحْرِ. فَنَقَلُونا إِلَى سَفينَةٍ طالَ عَلَيْها الْقِدَمُ، ولَمْ يَكُنْ فِيها شِرَاعٌ وَلا حِبالٌ!».

- «فكَيْفَ وَصَلْنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ إِذَنْ؟».



ـ «ساقَتْنا إِلَيْها عِنايَةُ اللهِ. وكانَ مَعَنا قَليلٌ مِنَ الطَّعامِ والْماءِ الْعَذْبِ، وَضَعَهُ في سَفينَتِنا أَحَدُ أَشْرافِ «نابُولي» واسْمُهُ: «جُنزالُو». وَقَدِ اخْتارُوهُ ـ لِحُسْنِ حَظِّنا ـ رَئيسًا لإِنْفاذِ مُؤَامَرَتِهِمْ. فَوَضَعَ في سَفينَتِنا كُتُبي، وَهِيَ أَنْفَسُ ما أَحْتاجُ إِلَيْهِ، وَهِيَ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْ مُلْكِيَ الَّذي فَقَدْتُه. وَوَضَعَ ـ إِلَى ذٰلِكِ ـ كَثيرًا مِنَ الثِّيابِ والْحُلَلِ الثَّمينَةِ.

وقَدْ لَطَفَ بِنا اللهُ، وقَيَّضَ لَنا رِيحًا رُخاءً (أَتاحَ وَيَسَّرَ لَنا رِيحًا هَيِّنَةً رَقيقَةً)، حتَّى بَلَغْنا الْجَزِيرَةَ سالِمَيْنِ».

ـ «شَدَّ ما كابَدْتَ (قاسَيْتَ مِنَ الْعَناءِ) بِسَبَبِي، يا أَبَتِ!».

ـ «لَقَدْ كُنْتِ لي ـ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا تَظُنِّينَ ـ مَلَكًا (رُوحًا سَماوِيًّا) كَريمًا، يا بُنَيَّتِي. وكُنْتِ لي خَيْرَ مُشَجِّعٍ في الْحَياةِ. وكُنْتِ أَكْبَرَ أَمَلٍ أَتَغَلَّبُ بِهِ عَلَى ما أَلْقاهُ مِنَ الْمَصاعِبِ. وَلَوْلاكِ لَكانَتْ حَياتي مُجْدِبَةً (مُقْفِرَةً غَيْرَ مُثْمِرَةٍ)، لا سَلْوَى فِيها وَلا أَمَلَ».

ـ «وَلٰكِنْ خَبِّرْني ـ يا أَبي ـ أَيُّ صِلَةٍ بَيْنَ هٰذهِ الْقِصَّةِ وَبَيْنَ الْعاصِفَةِ الَّتي أَثَرْتَها عَلى هٰؤُلاءِ الْمَساكِينِ؟».

ـ «إِنَّ الْمُصادَفاتِ الْعَجِيبَةَ هِيَ الَّتي ساقَتْ أَعْداءَنا الَّذينَ تآمَرُوا عَلى اغْتِصابِ الْمُلْكِ مِنِّي، وَأَوْصَلَتْهُمْ إِلَى هٰذا الْمَكانِ.

وَقَدِ انْتَهَزْتُ الْفُرْصَةَ لأَضْطَرَّهُمْ إِلَى النُّزُولِ بِجَزِيرَتِنا صاغِرِينَ (أَذِلّاءَ خاضِعِينَ)؛ فَأَثَرْتُ عَلَيْهِمْ هٰذهِ الْعاصِفَةَ الْهَوْجاءَ (الْمُنْبَعِثَةَ هُنا

وهُنـاك) لِيُعَرِّجُوا علَيْنَا (يَمِيلوا إلَيْنا). ومَتى تَمَّ لَنا ذَلِكِ، سَـهُلَ عَلَيْنا أنْ نُنْفِذَ الْخُطَّةَ الَّتي تُمْكِنُنا مِنِ اسْتِعادَةِ الْمُلْكِ».

٦ - نَوْمُ «مِيرَنْدَا»

فَنَظَرَتْ «مِيرَندا» إلى أَبيها مَدْهُوشَـةً، وعَجِبَتْ مِمَّا قَصَّهُ عَلَيْها أَشَدَّ العَجَبِ، وَلَمْ تَعْرِفْ ما تَقُولُ، وَلا كَيْفَ تُجِيبُهُ.

فَنَظَرَ إلَيْها مُحَدِّقًا (مُوَجِّهًا نَظَرَهُ بِشِدَّةٍ)، وَقالَ لَها:

«لا شَـكَّ - يـا بُنَيَّتـي - أَنَّ هـذِهِ القِصَّةَ قَـدْ حَزَنَتْـكِ، وَنَهَكَتْ قُواكِ وأَضْعَفَتْكِ. فَنامِي...».

وَمـا أَتَمَّ كَلامَـهُ حَتَّى خَضَعَـتْ «مِيرَنْـدَا» لِتَأْثِيرِ نَظَراتِهِ السِّـحْرِيَّةِ؛ فَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا، واسْتَسْلَمَتْ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ.



الفَصْلُ الثّاني

١ - بَيْنَ «بُرُسْبِيرو» و «آرْيِلَ»

ولَمْ تَسْتَسْلِمْ «مِيرنْدا» للنَّوْمِ، حَتى نادَى «بُرُسْبِيرُو» خَادِمَةُ الْجِنِّيَّ الْمُخْلِصَ الأَمِينَ «آرْيِل»، وقالَ مُتَلَطِّفًا:

«هَلُـمَّ إِلَيَّ - يا عَزِيزِي «آرْيِلُ» - وَنَفِّذْ ما آمُرُكَ بِهِ في الْحالِ، بلا تَوانٍ (بِغَيْرِ بُطْءٍ وَلا تَراخٍ). هَلُمَّ أَيُّها الرَّفِيقُ الْكَريمُ».

فَتَقَدَّمَ «آرْيِلُ» - في نَشاطٍ وخُضوعٍ - وقالَ لِسَيِّدِهِ مُتَأَدِّبًا:

«تَحِيَّتِي إِلَيْكَ يا مَوْلايَ الْكَرِيمَ، يا ذا الْمَجْدِ والرِّفْعَةِ والسُّلْطانِ.

هأَنَذا - يا سَيِّدي - أُلَبِّيكَ وأُجِيبُكَ مُطِيعًا خاضِعًا.

فَمُـرْني: أَطِـرْ في الجَـوِّ، أَوْ أَسْـبَحْ في قاعِ البَحْـرِ، أَوْ أَعْـدُ في فِجاجِ الأَرْضِ (أَجْرِ في نَواحِي الدُّنْيا).

مُرْني أَجْلِسْ على مُتُونِ الْغَمامِ، وظُهورِ السَّحابِ.

مُرْني بِما تَشـاءُ - يا مَوْلايَ - تَجِدْني أَطْوَعَ إِلَيْكَ مِنْ بَنانِكَ (أَطْرافِ أَصابِعِكَ)!».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبِيرُو»:

«هَـلْ أَنْفَـذْتَ كُلَّ مـا أَمَرْتُكَ بِـهِ - في دِقَّـةٍ وإِخْلاص - أَيُّهـا الْجِنِّيُّ الْعَزيزُ؟».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«نَعَـمْ يـا مَـوْلايَ. فَقَـدْ أَثَرْتُهـا عاصِفَـةً هَوْجـاءَ مُرَوِّعَـةً (مُخَوِّفَةً مُفَزِّعَـةً)، مَلأَتْ قُلوبَهُمْ ذُعْـرًا وخَوْفًا وهَلَعًا؛ فَكانُـوا - حَيْثُمَا أَدارُوا لِحَاظَهُـمْ (طَافُوا بِعُيونِهِم) - رَأَوْا هَـلاكًا يَتَهَدَّدُهُمْ، وَمَوْتًا يَتَوَعَّدُهُمْ، وَلَهَبًا يَكْتَنِفُهُمْ، وَنارًا تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ!

فاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ، وتَمَلَّكَهُمُ الْفَزَعُ والرُّعْبُ مِنْ هَوْلِ ما رَأَوْا».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبيرُو»:

«وَهَلِ اسْـتَطاعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَثْبُتَ لِلْهَوْلِ، ويَحْتَفِظَ بِرَزَانَتِهِ وعَقْلِه في تِلْكَ الْغاشِيَةِ (الْمُصِيبَةِ النَّازِلَةِ)؟».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«كَلَّا يـا سَـيِّدِي، فَقَـدْ عَرَتْهُـمُ الْحُمَّـى (أَصابَتْهُـمْ)، وتَمَلَّكَهُـمُ الْخَوْفُ، واسْـتَوْلَى عَلَيْهِمُ الْيَأْسُ والذُّهُولُ جَمِيعًا؛ فَأَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ في الْيَـمِّ (الْبَحْرِ)، مُؤْثِرِينَ (مُفَضِّلينَ) الأَمْـواجَ الهائِجَةَ الْمُزْبِدَةَ (الْقاذِفَةَ بِالزَّبَدِ) على ذلكَ الْجَحِيمِ الْمُسْـتَعِرِ (الْمُلْتَهِبِ)، وَلَمْ يَبْقَ في السَّـفِينَةِ إِلَّا الْمَلَّاحُونَ (النُّوتِيُّونَ) وَحْدَهُمْ!



وَكانَ «فِرْدِنَنْـدُ» ابْنُ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ أَلْقى بِنَفْسِـهِ في الأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ الْهائِجَةِ، وقَدْ قَفَّ (قامَ) شَعْرُ رَأْسِهِ - مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ - فَأَصْبَحَ كَأَعْوادِ الْغابِ، وصَرَخَ وقدْ تَمَلَّكَهُ الْخَوْفُ والرُّعْبُ:

«يـا للهِ! لَقدِ انْتَقَلَتِ الْجَحِيمُ كُلُّها إِلَى هـذه الْبُقْعَةِ، وَفَتَحَتْ أبوابَها لَنا!».

٢ - «آرْيِلُ» يَلْتَمِسُ الْحُرِّيَّةَ

فَقالَ لَهُ «بِرُسْبيرو»:

«مـا أَصْـدَقَ ما قـالَ! فَخَبِّرْني - أَيُّهـا الْجِنِّـيُّ الْعزيزُ - هَـلْ أَنْقَذْتَهُمْ جَمِيعًا مِنَ الْغَرَقِ؟».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«نَعمْ، يا سَيِّدي. فَقَدْ سَلِمُوا جَميعًا، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وهكَذا أَنْفَذْتُ إِشـارَتَكَ - في دِقَّةٍ وأمانَةٍ - وَفَرَّقْتُهُمْ شِيَعًا (طَوائِفَ) في أَنْحـاءِ الْجَزيـرَةِ، وأَقْصَيْـتُ «فِرْدِنَنْـدَ» ابْـنَ الْمَلِكِ عَـنْ أَصْحابِهِ، وَجَعَلْتُهُ في عُزْلَةٍ تامَّةٍ (انْفِرادٍ ووَحْدَةٍ)».

فَقالَ لَهُ «بِرُسْبيرُو»:

«شَدَّ ما أَحْسَنْتَ يا «آرْيِل»، فَقَدْ أَدَّيْتَ ما طَلَبْتُهُ إِلَيْكَ خَيْرَ أَداءٍ، وَلَكِنَّ أَمْرَهُمْ لَنْ يَقِفَ عِنْدَ هذَا الْحَدِّ».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«أَيَسْمَحُ السَّيِّدُ أَنْ أَرْفَعَ إِلَيْهِ مُلْتَمَسًا؟».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبِيرُو»:

«اطْلُبْ ما شِئْتَ، أَيُّهَا الجِنِّيُّ الْمُتَرَدِّدُ الْمُوَسْوِسُ».

فقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«أَلْتَمِسُ مِنْ سَيِّدِي أنْ يَمْنَحَني حُرِّيَّتي بَعْدَ هذا».

فَقالَ «بُرُسْبِيرُو»:

«أَناةً أَيُّها الْجِنِّيُّ (مَهْلًا وَصَبْرًا)؛ فَإِنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلٌ وَمِيقاتٌ (مَوْعِدٌ وَوَقْتٌ)».

٣ ـ «بُرُسْبيرو» يُهَدِّدُ «آرْيِلَ»

فَأَجابَهُ «آرْيِلُ»:

«أَيُرِيدُ السَّيِّدُ مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُ؟».

فقالَ لَه «بُرُسْبيرُو»:

«أَتَمُنُّ عَلَيَّ أنْ أَتَيْتَ أَمْرًا هَيِّنًا (سَهْلًا) لَمْ يُكَبِّدْكَ أَيَّ عَناءٍ؟



لَعلَّكَ نَسيتَ «سِكُورَكْسَ» السَّاحِرَةَ الْخَبِيثَةَ الْفَظَّةَ (الْخَشِنَةَ الطَّبْعِ)، وَما كَانَتْ تُلْحِقُهُ بِكَ مِنْ نَكالٍ (عُقُوبَةٍ وَعذابٍ) وتَبْريحٍ (أذًى شَديدٍ)!

تُرَى هَلْ نَسِيتَ الصَّرَخاتِ الْمُؤْلِمَةَ الَّتي كُنْت تُرْسِلُها في الْفَضاءِ -مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ- كَعُوَاءِ الذِّئابِ، فَتَرْجُفُ (تَرْتَعِدُ) الدِّبَبُ وَالْوُحُوشُ مِنْ هَوْلِها، وَأَنْتَ سَجِينٌ مَقْهُورٌ في جِذْعِ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ؟!».

فَأَجابهُ «آرْيِلُ»، في ضَراعَةِ النَّادِمِ، وَتَذَلُّلِ الآسِفِ:

«رَحْمَةً بي، وتَجاوَزْ عن هذِه السَّيِّئَةِ التي اقْتَرَفْتُها (ارْتَكَبْتُها)!».

فقال له «بُرُسْبيرو» ضاحِكًا:

«يا لَكَ مِنْ مُنْكِرٍ للجَميلِ! عَلَى أَنَّكَ إذا تكلَّمْتَ بَعْدَ هذا؛ شَقَقْتُ شَجَرَةَ بَلُّوطٍ، وجَعَلْتُها سِجْنَكَ إلَى الأَبَدِ. فَاذْهَبِ الآنَ وأَنْجِزْ (أَتْمِمْ ونَفِّذْ) ما آمُرُكَ بِهِ، فَإِنِّي -إذَا فَعَلْتَ- مُعْتِقُكَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ. هأَنَذا آمُرُكَ، فَأَحْضِرْ لي «فِرْدِنَنْدَ»؛ فإنَّني أُرِيدُ أَنْ أَرَى عَنْ كَثَبٍ (أَشْهَدَ عَنْ قُرْبٍ) ابْنَ الرَّجُلِ الَّذِي ضَيَّعَ الْمُلْكَ مِنِّي».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«السَّمْعُ والطَّاعَةُ لَكَ!».

ثُمَّ قَفَزَ -في خِفَّةٍ وَنَشاطٍ- واسْتَخْفَى عَنْ عَيْنَيْهِ؛ لِيُحْضِرَ إلَيْهِ ما طَلَبَ.



٤ـ يَقَظَةُ «مِيرَنْدَا»

وثَمَّةَ انْحَنَى «بُرُسْبِيرو» عَلَى ابْنَتِهِ وَهِيَ نائِمَةٌ، وَقالَ لها:

«اسْتَيْقِظِي، يا بُنَيَّتِي العزيزةَ، وَهُبِّي (قُومِي وانْهَضِي) مِنْ رُقادِكِ.

هَلُمِّي إِلَيَّ لِتَنْظُرِي ما فَعَلَ «كليبانُ».».

فَقالَتْ لَهُ «مِيرَنْدَا»، وَهِيَ تَرْفَعُ جَفْنَيْهَا:

«كَلَّا يا أَبَتِ، لا أُحِبُّ أَنْ أَرَى أَمامِي هذا الشَّيْطانَ».

فَقالَ لَها:

«الْحَقُّ مَعَكِ يا عَزِيزَتِي؛ فَإِنَّهُ فَظٌّ بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ. عَلَى أَنَّنا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَغْنِيَ عَنْهُ؛ فَهُوَ الَّذِي يَجِيئُنا بالْخَشَبِ، وَيَحْتَطِبُ (يُحْضِرُ الْحَطَبَ) لَنا ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ وَيُوقِدُ النَّارَ».

٥ـ بَيْنَ «بُرُسْبيرُو» وَ «كَليبانَ»

ثُمَّ صاحَ:

«هَلُمَّ إِلَيَّ، يا «كليبانُ». إِلَيَّ أَيَّتُهَا السُّلَحْفاةُ الْخَبِيثَةُ.

أَلا تُلَبِّي نِدَائِي؟».

فَسَكَتَ «كَليبانُ» لَحظَةً، ثُمَّ قالَ لِسَيِّدِهِ «بُرُسْبِيرُو» غاضِبًا:



«أنَسِيتَ أنَّ هـذِهِ الْجَزِيـرَةَ الَّتِي تَعِيـشُ فِيها هِيَ مِلْـكٌ لي وَحْدِي، وَأنَّنـي قَـدْ وَرِثْتُها عَنْ أُمِّي: «سِـكُورَكْس»، ثُمَّ سَـلَبْتَنِيهَا، واغْتَصَبْتَها مِنِّي بقُوَّتِكَ، وظُلْمِكَ وَجَبَرُوتِكَ؟

عَلَى أنَّكَ لَمْ تَحُلَّ بهذِهِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى عَلَّمْتَني كَيْفَ أنْطِقُ وأصِفُ ما حَوْلِي مِنَ الأشْياءِ، وَقَدْ أحْبَبْتُكَ - حِينَئِذٍ - وَمَحَضْتُكَ الْوُدَّ، وأخْلَصْتُكَ الْحُبَّ، فأرَيْتُكَ كُلَّ ما في الْجَزِيرَةِ مِنَ الْيَنَابِيعِ الْعَذْبَةِ والآبَارِ الْمِلْحَةِ، وَالْمُرُوجِ (الأرْضِ الْمَمْلُوءَةِ بِالنَّباتِ) وَالْهِضابِ.

فَعَلَيَّ اللَّعْنَةُ إذْ أرْشَدْتُكَ إلَى كُلِّ هذِهِ الخَيْرَاتِ.

نَعَمْ، وَلْتَسْـقُطْ عَلَيْكَ لَعَنَاتُ «سِـكُورَكْس»، يـا جِنْسَ الْخَفَافِيشِ، وَنَسْلَ الضَّفادِعِ، وَسَلِيلَ الثَّعابِينِ!».

ثُمَّ وَقَفَ «كَلِيبانُ» عَنِ الْكَلامِ لَحْظَةً، وَاسْتَأْنَفَ يَقُولُ:

«لَقَدْ كُنْتُ - وَحْدِي - مَلِكَ الْجَزِيرَةِ، فلَمَّا حَلَلْتَهَا سَـلَبْتَنِي حُرِّيَّتِي، وَمَلَكْتَ رِقِّي، وَصَيَّرْتَني عَبْدًا، وَاغْتَصَبْتَ مِنِّي مُلْكِي، وَلَمْ تَدَعْ لي مِنَ الْجَزِيـرَةِ إلَّا مَكانًا ضَيِّقًـا في هذِهِ الصَّخْرَةِ الْمُقْفِـرَةِ (الخَالِيَةِ). فَيالَكَ مِنْ جاحِدٍ مُنْكِرٍ لِلْجَمِيلِ!

ألَا فَلْتَسْـقُطْ عَلَيْـكَ لَعَنـاتُ أُمِّي «سِـكُورَكْس»، وَلْتُنَغِّـصْ عَلَيْكَ حَياتَكَ الضَّفادِعُ والْخَنافِسُ والْخَفافِيشُ!».



٦ ـ «بُرُسْبيرُو» يَتَوَعَّدُ «كليبانَ»

وَلَمْ يُطِقْ «بُرُسْبيرُو» أَنْ يَدَعَ «كَليبانَ» ماضِيًا في سِبابِهِ (مُسْتَمِرًّا في شَتْمِهِ) مُتَمادِيًا في وَقاحَتِهِ، فَقاطَعَهُ قائِلًا:

«صَهْ (اسْكُتْ) أَيُّها الأَثيمُ، فَلَيْسَ يَجْدُرُ بِكَ إِلَّا السَّوْطُ، أَمَّا الْجَميلُ فَلا يَتْرُكُ في نَفْسِكَ إِلَّا أَسْوَأَ الآثارِ. أَنَسيتَ ما أَسْلَفْتُهُ (قَدَّمْتُهُ إِلَيْكَ) مِنْ إِحْسانٍ، وَما غَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ عَطْفٍ وحَنانٍ؟ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ أَنْ تُقابِلَ مَعْرُوفي بالإِساءَةِ، وجَميلي بِالْكُفْرانِ؟!

هِيهِ أَيُّها الْجاحِدُ. لقَدْ لَقيتُكَ ـ أَوَّلَ أَمرِكَ ـ حَيَوانًا أَبْكَمَ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مِنَ الْكَلامِ إِلَّا الصُّراخَ والْعُواءَ، فَعَلَّمْتُكَ كَيْفَ تَنْطِقُ، وكَيْفَ تُبينُ عن أَغْراضِكَ».

فَأَجابَهُ «كَليبانُ» حانِقًا، غاضِبًا ثائِرًا:

«لَقَدْ عَلَّمْتَنِيَ اللُّغَةَ، فَشُكْرًا لَكَ إِذْ عَلَّمْتَني كَيْفَ أَلْعَنُكَ، وأَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ يُهْلِكَكَ الطَّاعُونُ جَزاءَ ما عَلَّمْتَنيهِ!».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبيرُو»:

«صَهْ (اخْرَسْ) أَيُّها السَّاقِطُ الْمُرُوءَةِ، وحَذارِ أَنْ تَتَمادَى في سَفاهَتِكَ وشَتْمِكَ، وهَذَرِكَ ومُزاحِكَ وهَذَيانِكَ. اذْهَبْ مِنْ هُنا ـ يا ابْنَ «سِكُورَكْسَ» ـ فَأَحْضِرْ لَنا وَقُودًا. أَسْرِعْ بِتَلْبِيَةِ أَمْري، وَلا تَتَوانَ

فِي ذلِكَ وَلا تُبْطِئْ، وَإِلَّا مَلأْتُ عِظامَكَ بالأَوْجاعِ والآلامِ الْمُبَرِّحَةِ (الشَّديدَةِ الأَذى والأَلَمِ)، جَزاءَ عِصْيانِكَ ولُؤْمِ نَحِيزَتِكَ (خُبْثِ طَبيعَتِكَ)، وفَسادِ ضَميرِكَ وطَوِيَّتِكَ».

فَمَلأَ الْخَوْفُ نَفْسَ «كَليبانَ» الْغادِرِ، وتَمَلَّكَهُ الذُّعْرُ، وقَدْ خَشِيَ أَنْ يُنْفِذَ فيهِ وَعيدَهُ، فَقالَ لَهُ ضارِعًا (خاضِعًا):

«كَلَّا، لا تَفْعَلْ، وتَجاوَزْ بِفَضْلِكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَذَنْبِي، وسَتَراني مُذْعِنًا لأَمْرِكَ، مُطِيعًا مُلَبِّيًا كُلَّ ما تَطْلُبُهُ مِنِّي».

ثُمَّ أَسْرَعَ «كَليبانُ» لِيُنْجِزَ (لِيُتِمَّ) ما أَمَرَهُ بِهِ سَيِّدُهُ «بُرُسْبيرُو»، وهُوَ يَقُولُ في نَفْسِهِ: «يا لَهُ مِنْ مُتَسَلِّطٍ جَبَّارٍ. فَمَتَى أَخْلُصُ مِنْ إسارِي، وأَنْجُو مِنْ حَبْسِي، فَأَسْتَرِيحَ مِنْ وَعِيدِهِ؟

لابُدَّ لي مِنْ تَلْبِيَةِ أَمْرِهِ. والْوَيْلُ لي إِذا هَمَمْتُ بِعِصْيانِهِ!».





١ ـ حِيلَةُ «آزيلَ»

ذَهَبَ «آرْيِلُ» لِيُحْضِرَ «فِرْدِنَنْدَ» كما أَمَرَهُ «بُرُسْبيرُو».

وكانَ «آرْيِلُ» ـ كَما قُلْنا ـ ذَكِيًّا لَبِقًا (حَسَنَ التَّصَرُّفِ)؛ فَسَلَكَ طَرِيقَةً عَجِيبَةً جِدًّا لا تَخْطُرُ عَلَى بالٍ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إلى «فِرْدِنَنْدَ»، وَأَخْفَى نَفْسَهُ عَنْ عَيْنَيْهِ، وظَلَّ يُرَدِّدُ أُغْنِيَّةً جَدِيدَةً يَنْعَى بِها أَبَا «فِرْدِنَنْدَ»، ويُعْلِنُ وَفاتَهُ؛ لِيُيْئِسَهُ مِنْ لِقاءِ أَبيهِ.

وكانَ «فِرْدِنَنْدُ» ـ حِينَئِذٍ ـ مَحْزُونًا عَلَى أَبيهِ، لا يَعْرِفُ: هَلْ كُتِبَتْ لَهُ السَّلامَةُ، أَمْ كانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ؟

ولَمْ يَسْمَعْ أُغْنِيَّةَ «آرْيِلَ» حَتَّى أَرْهَفَ أُذُنَيْهِ، وتَسَمَّعَ بِانْتِباهٍ، وَأَنْصَتَ كُلَّ الإِنْصاتِ.

وكانَ «آرْيِلُ» يُغَنِّي وهُوَ سائِرٌ في طَرِيقِهِ إلى «بُرُسْبِيرو».

وكانَ «فِرْدِنَنْدُ» يَسِيرُ في طَرِيقِهِ ـ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ ـ مُتَتَبِّعًا الصَّوْتَ السَّاحِرَ الَّذِي يَنْعَى لهُ أَباهُ، وَيُخْبِرُهُ بِمَوْتِه في شِعْرٍ مُؤَثِّرٍ مُحْزِنٍ.

٢ ـ نَشِيدُ «آرْيِل»

وقَـدْ عَجِـبَ «فِرْدِنَنْـدُ» مِمَّا سَـمِعَ، وظَلَّ يَتَتَبَّـعُ ـ في انْتِباهٍ شَـديدٍ ـ صَوْتَ الجِنِّيِّ، وهُوَ يُغَنِّيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ.

وَقَدْ بَدأَ «آرْيِل» أُغْنِيَّتَهُ بِقَوْلِهِ:

«أَبُـوكَ يا «فِـرْدِنَنْدُ» قَدْ ماتَ، وَهْوَ غَـرِيقُ
طَـواهُ بَحْـرٌ خِضَـمٌّ نائِي الشُّطُـوطِ عَمِيقُ
وَالبَحْـرُ ـ مُنْذُ قَديمٍ ـ إِلى الْهَـلاكِ طَـريقُ».

فَجَـزِعَ «فِرْدِنَنْدُ» عَلَى أَبيهِ، وعَجِبَ مِنْ غِناءِ الْهاتِفِ (الَّذي يُسْـمَعُ صَوْتُهُ وَلا يُرَى شَخْصُهُ)، وسارَ يَتْبَعُ الصَّوْتَ، فَسَمِعَهُ يَقُولُ:

«أَبُـوكَ يا «فِرْدِنَنْـدُ» قَدْ مات، وَهْوَ غَرِيقُ
وَنـامَ نَـوْمًا عَمِيـقًا فَـمـا تَـراهُ يُفِيـقُ
عِظـامُهُ مَـرْجـانٌ، وكُـلُّ عَـيْنٍ عَقِيقُ».

فاشْـتَدَّ جَزَعُ «فِرْدِنَنْدَ»، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ حُزْنًا وَأَلَمًا عَلَى مَصِيرِ أَبيهِ، وَيَئِسَ مِنْ لِقائِهِ الْيَأْسَ كُلَّهُ.

وَإِنَّهُ لَغارِقٌ في أَحْزَانِهِ وآلامِهِ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ الْجِنِّيِّ وَهُوَ يُغَنِّيهِ:

«أَبُـوكَ يا «فِرْدِنَنْـدُ» قَدْ ماتَ، وَهْوَ غَرِيقُ
هَـوَى إِلى الْقـاعِ لَمَّا طَـواهُ بَحْـرٌ سَحِيقُ



فَاحْـزَنْ، فأَنْـتَ عَلَيْهِ ـ بِكُلِّ حُزْنٍ ـ خليقُ».

فَاسْتَسْلَمَ «فِرْدِنَنْدُ» لأَحْزَانِه، وَبَكَى أَباهُ الْعَزِيزَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ الْهاتِفَ يُخْبِـرُهُ ـ في لَهْجَـةِ الْجازِمِ (الْمُتَحَقِّقِ الْمُؤْمِنِ) الْمُسْـتَيْقِنِ ـ أَنَّ أَباهُ قَدْ مـاتَ وطَواهُ الْبَحْرُ، وَأَصْبَحَتْ عِظامُـهُ مَرْجانًا، وَعَيْناهُ عَقِيقَتَيْنِ، وَلَمْ يَعُدْ لَهُ أَمَلٌ في لُقْياهُ بَعْدَ هذَا الْيَوْمِ الْمَشْئُومِ!

٣ ـ أمامَ الْكَهْفِ

وَمازالَ «فِرْدِنَنْدُ» سـائِرًا ـ وقَدْ تَمَلَّكَهُ سِـحْرُ الإِنْشـادِ الرَّائِعِ ـ حَتَّى وَصَلَ إِلى كَهْفِ «بِرُسْبِيرُو»، فَرَآهُ واقِفًا عَلَى رَأْسِ صَخْرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ، وإِلى جانِبِهِ «ميرندا»؛ فَعَجِبَ «فِرْدِنَنْدُ» مِمَّا رَأَى.

أَمَّـا «مِيرَنْـدا» فَلَمْ تَـرَ هذا الإِنْسِـيَّ حَتَّى اسْـتَوْلَتْ عَلَيْها الدَّهْشَـةُ والْحَيْرَةُ. فَالْتَفَتَتْ إِلى أَبِيها تَسْأَلُهُ مُتَعَجِّبَةً:

«تُرَى مَنْ هذا الْقادِمُ، يا أَبي؟

لَعَلَّهُ جِنِّيٌّ أَوْ مَلَكٌ (رُوحٌ سَـماوِيٌّ) هَبَطَ مِنَ السَّـماءِ! فَلَسْتُ أَذْكُرُ أَنَّني رَأَيْتُهُ، أَوْ رَأَيْتُ مَنْ يُشْبِهُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ!».

وكانَ لَها الْعُذْرُ في هذا السُّؤَالِ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ ـ أَيُّها الْقارِئُ الصَّغيرُ ـ أَنَّ عَيْنَيْ «مِيرَنْدا» لَمْ تَقَعا مِنْ قَبْلُ عَلَى إِنْسِـيٍّ سِـوَى أَبيها. فَلَمَّا رَأَتْ

«فِرْدِنَنْدَ» عَجِبَتْ مِنْ رُؤْيَتِه، وَحَسِبَتْهُ جِنِّيًا أَوْ مَلَكًا، فَسَأَلَتْ أَباها عَنْهُ. فقالَ لَها:

«لَيْسَ هذا الْقادِمُ مِنَ الْجِنِّ وَلا مِنَ الْمَلائِكَةِ كَما تَحْسَبِينَ - يا عزيزتي - بَلْ هُوَ إنْسِيٌّ مِثْلُنا. وقَدْ كانَ بَيْنَ رَكْبِ تِلْكِ السَّفِينَةِ الَّتي رأَيْتِها مُشْرِفَةً (مُقْبِلَةً) عَلَى الْغَرَقِ. وَهُوَ يَسِيرُ في الْجَزِيرَةِ باحِثًا عَنْ أبيهِ ورُفَقائِه؛ لَعَلَّهُ يَظْفَرُ بِلِقائِهِم».

٤ - حِوارُ «فِرْدِنَنْدَ» و «مِيرَنْدا»

وَما رَأَتْ «مِيرَنْدا» «فِرْدِنَنْدَ»، وَسَمِعَتْ قِصَّتَهُ مِن أبيها، حتَّى أَشْفَقَتْ وحَزِنَتْ لَهُ، وَعَطَفَتْ عَلَيْهِ، وفَرِحَتْ بِرُؤْيَةِ الإنْسِيِّ الظَّرِيفِ في الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ) الْمُقْفِرَةِ (الخالِيَةِ)، وَظَهَرَتْ على أساريرِها (خُطُوطِ جَبِينِها) أَماراتُ الْفَرَحِ والسُّرُورِ.

أَمَّا «فِرْدِنَنْدُ» فَلَمْ يَرَ «مِيرَنْدا» أَمَامهُ حَتَّى حَسِبَهَا - كما حَسِبَتْهُ مِن قَبْلُ - مَلَكًا هَبَطَ مِنَ السَّماءِ، أَوْ جِنِّيَّةً حَسْناءَ تَسْكُنُ الْجَزِيرَةَ الْمُنْعَزِلَةَ. فَتَقَدَّمَ إلَيْها مُتَأَدِّبًا، وَسَأَلَها في حَياءٍ وخَجَلٍ:

«هَلْ تَسْمَحُ لي مَوْلاتي أَنْ تُخْبِرَني: أَهِيَ مِنَ الْمَلائِكَةِ أَمْ مِنَ الْجِنِّ؟».



فأجابَتْهُ «مِيرَنْدا» مُتَلَطِّفَةً باسِمَةً:

«كَلَّا يا سَيِّدي، ما أنا بِمَلَكٍ وَلا جِنِّيَّةٍ، بَلْ أنا إِنْسِيَّةٌ مِثْلُكَ».

فاشْتَدَّتْ دَهْشَةُ «فِرْدِنَنْدَ»، وَفَرِحَ بِرُؤْيَةِ «مِيرَنْدا»، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ رَجاءً وَأَمَلًا.

٥ - بَيْنَ «فِرْدِنَنْدَ» و «بُرُسْبِيرُو»

وَما رأَى «بُرُسْبيرُو» «فِرْدِنَنْدَ» و«مِيرَنْدا» مُتَآلِفَيْنِ، حَتَّى مَلأَ السُّرُورُ قَلْبَهُ، وَأَدْرَكَ أَنَّ خُطَّتَهُ الَّتِي أَحْكَمَ تَدْبِيرَها قَدْ نَجَحَتْ نَجاحًا باهِرًا؛ فَقَدْ رَأَى أَنَّهُما مُتَحابَّانِ، وَإِنْ لَمْ يَتَعارَفا قَبْلَ هذِهِ اللَّحْظَةِ. ولكنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَتَسَرَّعَ في أَمْرِهِ، وأرادَ أَنْ يُحْكِمَ خُطَّتَهُ، وَأَنْ يُؤْيِسَ «فِرْدِنَنْدَ» مِنْ زَواجِهِ بِابْنَتِهِ «مِيرَنْدَا»؛ لِيَخْتَبِرَ - بذلِكَ - أَخْلاقَهُ؛ ثُمَّ يَمْلأَ نَفْسَهُ أَمَلا - بَعْدَ يَأْسٍ - فَيَكُونَ لِهذا النَّجاحِ أَحْسَنُ الأَثَرِ في نَفْسِ «فِرْدِنَنْدَ».

وَثَمَّةَ (هُنا) نظرَ إِلَيْهِ «بُرسْبِيرُو»، وَقالَ لَهُ، وَهُوَ يَتَظاهَرُ بِالْقَسْوَةِ عَلَيْه:

«ماذا أَتَى بِكَ إِلَى هذِهِ الْجَزِيرَةِ؟ لعلَّك أَتَيْتَ لِتَغْتَصِبَهَا مِنِّي؟».

فَقالَتْ لَهُ «مِيرَنْدا» مُتَعجِّبَةً:

«لِماذا تَعْنُفُ بِهِ (تَقْسُو عَلَيْه) في كَلامِكَ، يا أَبَتِ؟ وما بالُكَ تُغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ، وَتُعامِلُهُ كما تُعامِلُ جارِمًا أَثِيمًا (مُرْتَكِبًا إِثْمًا)؟!».



فَتظَاهَـرَ «بُرُسْـبِيرُو» بِالْغَضَبِ مِنْ كَلامِ ابْنَتِهِ ، وأَسْـكَتَها، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى «فِرْدِنَنْدَ»، وَقالَ لَهُ في لَهْجَةِ الْجادِّ الْمُعَبِّسِ (الْمُقَطِّبِ جَبِينَهُ):

«ما أَجْدَرَكَ أنْ تَكُونَ الْجَحِيمُ مَأْواكَ، وَالنَّارُ مَثْواكَ (مَسْكَنَكَ)، وَأَنْ تَلْقَى ما أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ عَذَابٍ وَنَكالٍ، حَتَّى يَنْحَنِيَ جِسْمُكَ وَيَتَقَوَّسَ، وَيَلْتَصِقَ رَأْسُكَ بِقَدَمَيْكَ. فَلْتَبْقَ في هذِهِ الْجَزِيرَةِ عَبْدًا سَجِينًا، وَلْيَكُنْ ماءُ الْبَحْرِ شَرَابَكَ، وحَشائِشُ الأَرْضِ غِذَاءَكَ».

٦ ـ خُضُوعُ «فِرْدِنَنْدَ»

فلَـمْ يَسْـتَطِعْ «فِرْدِنَنْـدُ» الشُّـجاعُ النَّبِيـلُ أنْ يَحْتَمِـلَ الإِهانَـةَ مِـنْ «بُرسْبيرُو»، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ غَضَبًا؛ فَأَسْرَعَ إِلَى سَيْفِهِ، فاسْتَلَّهُ مِنْ غِمْدِهِ (أَخْرَجَهُ مِنْ جِرابِهِ)، وقَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ خَصْمِهِ الَّذي أَهانَهُ وَحَقَّرَهُ. ولكِنَّـهُ لَمْ يَهُمَّ بِذلِكَ حَتَّى تَخاذَلَ وَضَعُفَ ـ أَمامَ نَظَرَاتِ «بُرُسْـبِيرُو» السَّاحِرَةِ ـ وَتَفَكَّكَتْ أَوْصالُهُ، وَتَخَاذَلَتْ أَعْضاؤُهُ؛ فَلَمْ يَعُدْ يَقْوى عَلى مُناجَزَةِ خَصْمِهِ (مُحارَبَةِ عَدُوِّهِ) الْقَوِيِّ.

فَتَشَـفَّعَتْ «مِيرنْـدا» عِنْدَ أَبِيها أَلَّا يُؤْذِيَهُ، وَرَكَعَتْ أَمامَهُ تَسْـأَلُهُ ـ في ضَراعَةِ الْمُتوسِّلِ، وَذِلَّةِ الْمُسْتَعْطِفِ ـ راجِيَةً أَنْ يَصْفَحَ عَنْ «فِرْدِنَنْدَ»، وأَنْ يَتَجاوَزَ عَنْ هَفْوَتِهِ (سَقْطَتِهِ).



فَقالَ لَها «بُرُسْبِيرُو»، وهُوَ يَتَظاهَرُ بِالْغَيْظِ وَالْحَنَقِ عَلى «فِرْدِنَنْدَ»، ويَتَصَنَّعُ الإِزْرَاءَ وَالاسْتِخْفَافَ بِهِ:

«إنَّ جَمِيعَ النَّاسِ ـ أَيَّتُها السَّاذَجَةُ الْبَلْهاءُ ـ خَوَنَةٌ غادِرُونَ، مِثْلُ «كَلِيبانَ». وَما رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ عَنِ الآخَرِ في الْخُبْثِ والْمَكْرِ، وَالْخَدِيعَةِ وَالْغَدْرِ».

وَرَأَى «فِرْدِنَنْدَ» أَنَّهُ قَدْ عَجَزَ عَنْ مُقَاوَمَةِ خَصْمِهِ؛ فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الإِذْعانِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لِسُلْطانِهِ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ «بُرُسْبِيرُو» قدْ أَخْضَعَهُ بِقُوَّةِ السِّحْرِ وَفُنُونِهِ.

٧ ـ «فِرْدِنَنْدُ» في الأَسْرِ

وقَدْ عَجِبَ «فِرْدِنَنْدُ» مِمَّا رَأَى، وَقالَ في نَفْسِهِ:

«ما أَغْرَبَ هذا الرَّجُلَ، وَما أَقْوَى سُلْطانَهُ عَلَيَّ! وَما أَدْرِي: بِأَيِّ قُوَّةٍ اسْتَطاعَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيَّ، وَيُقَيِّدَني ـ مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ ـ ويَجْعَلَني مُفَكَّكَ الأَوْصالِ (مُنْحَلَّ الأَعْضاءِ)، وكَأَنَّني في حُلُمٍ مُضْنٍ (مُضْعِفٍ مُمْرِضٍ)، وَقَدْ أَصْبَحْتُ أمامَهُ ضَعِيفًا، لا حَوْلَ لي وَلا قُوَّةَ؟ شَدَّ ما أَذَلَّني هذَا الرَّجُلُ، حَتَّى لأُوثِرُ الْمَوْتَ عَلَى الْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، لَوْلا أَنَّني أَجِدُ مِنْ عَطْفِ هذِهِ الْفَتاةِ الطَّاهِرَةِ الرَّحِيمَةِ ـ الَّتي أَراها إِلَى جانِبِهِ ـ ما

يُعَزِّيني وَيُصَبِّرُني ويُسَـرِّي عَنْ نَفْسِي (يَكْشِفُ عَنْها هُمُومَهَا)، وَيُهَوِّنُ عَلَيَّ كُلَّ ما أُحِسُّهُ مِنَ الْقَهْرِ والْغَيْظِ».

وَإِنَّـهُ لَغـارِقٌ في هـذِهِ التَّأَمُّـلاتِ، إذْ نَبَّهَـهُ صَـوْتُ «بُرُسْـبِيرُو» مِنْ أحْلَامِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

«هَلُـمَّ ـ أَيُّهَـا الأَمِيرُ الْفَتَـى ـ فاحْتَطِبْ (اجْمَعْ مِـنَ الْحَطَبِ) لَنا ما تَسْـتَطِيعُ، ثُمَّ أَحْضِرْ إلَى كَهْفِنَا (بَيْتِنا في الْجَبَلِ) ما تَحْتَطِبُهُ مِنْ خَشَـبٍ لِلْوَقُودِ. وحَذارِ أَنْ تَتَرَدَّدَ في تَلْبِيَةِ ما آمُرُكَ بِهِ».

والْتَفَتَ «برُسْبيرُو» إلى «مِيرَندا» قائِلًا:

«حَذارِ أَنْ تَأْخُذَكِ في أَمْرِهِ شَفَقَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ؛ فَهُوَ جَديرٌ بِكُلِّ شَقاءٍ».

ثُـمَّ سـارَ مَعَ «فِرْدِنَنْـدَ» إلَى حَيْـثُ الْخَشَـبُ والْوَقُودُ، وَأَرْشَـدَهُ إلَى مَكانِهِمَا؛ لِيَحْتَطِبَ لَهُما كُلَّ يَوْمٍ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

١ - عَطفُ «مِيرَنْدا» عَلَى «فِرْدِنَنْدَ»

وَبَيْنَا كَانَ «فِرْدِنَنْدُ» سائِرًا في طَرِيقِهِ، عائدًا إلَى غارِ «بُرُسْبِيرُو» (راجِعًا إلَى الْمَغارَةِ الَّتِي اتَّخَذَها بَيْتًا لَـهُ في الْجَبَلِ)، إذْ لَقِيَتْـهُ «مِيرَنْدا» - وَكان مَشْغُولًا بالتَّفْكِيرِ فِيها حِينَئِذٍ - فَلَمْ تَرَهُ حَتَّى أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ، وَأَرادَتْ أن تُساعِدَهُ في حَمْلِ الْخَشَبِ الَّذِي كَلَّفَهُ أَبُوها إحْضارَهُ إلى كَهْفِهِ.

فَدَهِشَ «فِرْدِنَنْدُ» مِنْ كَرَمِ نَفْسِـها، وَأَكْبَرَ (عَظَّمَ) مِنْها ذلكَ الشُّعُورَ النَّبِيلَ، وَقالَ لَهَا:

«إنِّي لأُوثِرُ أنْ تَشَلَّ يَدِي (أَخْتارُ أن تَقِفَ يَدِي عَنِ الْحَرَكَةِ)، أوْ تُبْتَرَ ساعِدِي (تُقْطَعَ ذِراعِي) عَلَى أنْ أُكلِّفَكِ شَيْئًا مِنَ الْعَناءِ!».

فَقالَتْ لهُ «مِيرَنْدا»:

«أراكَ عَيَّانَ (عاجِزًا عَنِ الْعَمَلِ)، وَأَلْمَحُ عَلَى وَجْهِكَ أَماراتِ الْجَهْدِ والإِعْياءِ (عَلامَاتِ الْمَشَقَّةِ والْعَجْزِ). فَماذا عَلَيَّ إذا خَفَّفْتُ شَيْئًا مِنْ عَنائِكَ؟».

فَقالَ لَهَا:



«حَسْبِي أَنْ أَعْرِفَ منْكِ هذا الْعَطْفَ النَّادِرَ، وأنْ أَتَمَثَّلَ أمامي هذا الرُّوحَ النَّبِيلَ، فَتَمْتَلِئَ نَفْسِي قُوَّةً أَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى كُلِّ ما أَلْقَاهُ مِنْ عَناءٍ وَتَعَبٍ!».

٢ـ مُفاجَأَةُ «بُرُسْبِيرُو»

وَوَقَفا يَتَحَدَّثانِ قَليلًا، وكان «بُرُسْبيرُو» عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُما يَسْتَمِعُ إلى أحادِيثِهِمَا بِحَيْثُ لا يَرَيانِه؛ لأَنَّهُ قَدْ أَخْفَى نَفْسَهُ عَنْ عُيُونِهِمَا بِما أُوتِيَهُ مِنْ فُنُونِ السِّحْرِ وسُلْطانِهِ.

ثُمَّ ظَهَرَ أمامَهُمَا فَجْأَةً؛ فَعَجِبا مِنْ رُؤْيَتِهِ، ولَمْ يَعْرِفا كَيْفَ جاءَ، وَمِنْ أيِّ مَكانٍ ظَهَرَ. وخَشِيَا أَنْ يَدْفَعَهُ الْغَضَبُ إلى إيذائِهِمَا وَالتَّنْكِيلِ بِهِمَا.

ولكنَّ «بُرُسْبيرُو» أَخْلَفَ ظَنَّهُمَا، وقالَ لَهُمَا مُبْتَسِمًا مَسْرُورًا: «لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَحِنَ صَبْرَكُما، وأرَى كَيْفَ تَلْقَيانِ الشَّدائِدَ، وَقَدْ رَأَيْتُ ـ مِنْ وَفائِكُمَا وَإخْلاصِكُمَا وَمُرُوءَتِكُمَا ـ ما مَلأَ قَلْبِي بَهْجَةً وانْشِراحًا. وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أنْ تكُوني ـ يا «ميرَنْدا» ـ زَوْجَتَهُ وَشَرِيكَتَهُ في الْحَياةِ؛ فَأَنْتُما مُتَكافِئانِ (مُتَساوِيانِ) في النُّبْلِ والشَّرَفِ، والْمُرُوءَةِ والْوَفاءِ!».



٣ـ شُكْرُ «فِرْدِنَنْدَ»

وَما سَمِعَا هذا الكَلامَ، حتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِمَا أَنَّهُما في حُلْمٍ، وامْتَلأَ قَلْباهُما سُرُورًا وَغِبْطَةً. وَتَوَجَّهَ «فِرْدِنَنْدُ» إلى «بُرُسْبِيرُو» وشَكَرَ له صَنيعَهُ أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَلَثَمَ يَدَهُ (قَبَّلَهَا) عِرْفانًا لِمُروءَتِهِ وَكَرَمِهِ، وقال لهُ:

«سَأَكُونُ ابْنَكَ الْبارَّ ـ مُنْذُ الْيَوْمِ ـ وسَأَبْقَى لِبِنْتِكَ «مِيرَنْدا» نِعْمَ الصَّدِيقُ الْوفِيُّ الأَمِينُ، وَأَبْذُلُ نَفْسِي فِداءً لَها مِنْ كُلِّ سُوءٍ طُولَ حَياتِي».

فَشَكَرَ لَهُ «بُرُسْبِيرُو» مُرُوءَتَهُ، وَرَبَّتَهُ (ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِهِ مُتَلَطِّفًا)، ثُمَّ تَرَكَهُ مَعَ «مِيرَنْدَا»، وَعادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى؛ لِيُتِمَّ إِنْجازَ خُطَّتِهِ.

٤ـ انْتِقامُ «آرِيلَ»

وَلَمْ يَشَأْ «بُرُسْبِيرُو» أَنْ يُضِيعَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ عَبَثًا، فَنادَى خادِمَهُ الْجِنِّيَّ الأَمينَ، وقالَ لَهُ:

«إِلَيَّ، يا رَفِيقِي «آرِيلُ»! إِلَيَّ، أَيُّها الْخادِمُ الْوَفِيُّ الْمُخْلِصُ!».

فَحَضَرَ إِلَيْهِ «آرِيلُ»، وَلَبَّاهُ مِنْ فَوْرِهِ قائِلًا:

«هأَنَذا ـ يا سَيِّدي ـ فَمُرْنِي بِما تَشاءُ؛ فَإِنِّي سامِعٌ مُطِيعٌ».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبِيرو»:



«مَـاذا صَنَعْـتَ بِشَـقِيقِيَ الْغـادِرِ «أَنْطُنْيُو»؟ وَمَـاذا صَنَعْـتَ بِمَلِكِ «نابُـولِي»؟ ومـاذا صَنَعْتَ بِرُفَقائِهِمـا جَمِيعًا؟ ما أَحْسَـبُكَ قَصَّرْتَ في شَيْءٍ مِمَّا أَمَرْتُكَ به».

فَقالَ لَهُ «آرِيل»:

«لَقَـدْ أَنْجَزْتُ مَا طَلَبْتَ ـ وَفْقَ ما تَشْتَهِي وَتُرِيـدُ ـ فانْتَقَمْتُ مِنْهُمْ شَـرَّ انْتِقامٍ، وَسَـخِرْتُ مِنْهُمْ جَمِيعًا حَتَّى كادُوا يَتَمَيَّزُونَ مِنَ الْغَضَبِ (يَتَقَطَّعُونَ مِنَ الْغَيْظِ).

وقَدْ أَعْدَدْتُ لَهُمْ مائِدَةً فاخِرَةً علَيْها أَشْهَى أَلْوانِ الطَّعامِ.

وَما رَأَوْها حَتَّى أَسْرَعُوا إِلَيْها مُتَهافِتِينَ (مُتَساقِطِينَ) في شَرَهٍ عَجِيبٍ (شَغَفٍ شَدِيدٍ بالأَكْلِ).

وَكانَ الْجُوعُ قَدْ بَرَّحَ بِهِمْ أَذاهُ واشْتَدَّ، فَصَبَرْتُ عَلَيْهِمْ، حتَّى إِذا دَنَوْا مِنْها ظَهَرْتُ أَمامَهُمْ ـ في شَكْلِ حِرْباءَ مُفَزِّعَةٍ (الْحِرْباءُ: حَيَوانٌ زاحِفٌ يَتَلَوَّنُ أَلْوانًا مُخْتَلِفَةً) ـ فَخَطِفْتُ الْمائِدَةَ، وأَخْفَيْتُها عَنْ أَعْيُنِهِمْ!

فَتَبَدَّلَ سُـرُورُهُمْ جَزَعًا، ورَجاؤُهُمْ يَأْسًـا، وَامْتَـلأَتْ قُلُوبُهُمْ غَيْظًا مِنِّـي، وَحَنَقًـا عَـلَيَّ؛ فَسَـلُّوا سُـيُوفَهُمْ مِـنْ أَغْمَادِهَـا (أَخْرَجُوهـا مِنْ جِرَاباتِها) مُحاوِلِينَ أَنْ يَفْتِكُوا بي، فَسَخِرْتُ مِنْهُمْ قائِلًا:

«اخْسَئُوا ـ أَيُّها الأَثَمَةُ ـ وَتَوارَوْا خِزْيًا، أَيُّها الْغادِرُونَ!

أَلا تَذْكُـرُونَ تِلْكُـمُ الْمُؤامَـرَةَ الدَّنِيئَـةَ الَّتِي دَبَّرْتُمُوها ضِدَّ سَـيِّدِكُمْ «بُرُسْـبِيرُو» النَّبِيلِ: أَمِيرِ «مِيلانَ»؟ أَنَسِيتُمْ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ ـ مَعَ طِفْلَتِهِ

الْبَرِيئَـةِ - إلَى الْبَحْرِ لِيَمُوتـا غَرِيقَيْنِ، وَهُمَا لَمْ يَقْتَرِفـا إثْمًا، وَلَمْ يَرْتَكِبا ذَنْبًـا؟ اذْكُرُوا أنَّ لِكُلِّ جُرْمٍ عِقابًا، وأَنَّ سـاعَةَ الْقِصَاصِ (أَخْذِ الْحَقِّ) قَدْ دَنَتْ (قَرُبَتْ).

فَإِذا شِـئْتُمُ النَّجاةَ مِنَ الْهَلاكِ الَّذِي يَتَهَدَّدُكُمْ، فاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ، وَتُوبُـوا مِنْ خَطِيئاتِكُمْ، وَعَاهِدُوا اللهَ عَـلَى أَلَّا تَعُودُوا - بَعْدَ الْيَوْمِ - إلَى الْغَدْرِ والْخِيانَةِ، ومُقَابَلَةِ الإِحْسَانِ بالإِساءَةِ».

فَسَأَلَهُ «بُرُسْبِيرُو»:

«هَلْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا أَيُّهَا الرَّفِيقُ الأَمِينُ؟».

فَقالَ لَهُ «آرْيِلُ»:

«نَدِمُـوا كُلَّ النَّدَمِ؛ فَقَـدْ بَلَغَ بِهِمُ الْيَأْسُ وَتَأْنِيـبُ الضَّمِيرِ (تَوْبِيخُهُ) كُلَّ مَبْلَغٍ، وبَرَّحَ بِهِمُ الأَلَمُ كُلَّ مُبَرِّحٍ، حتَّى تَمَلَّكَهُمُ الذُّهُولُ والْحَيْرَةُ، لِشِدَّةِ ما اعْتَراهُمْ مِنَ الْفَزَعِ والْحُزْنِ والْجَزَعِ».

فَقالَ لَهُ «بُرُسْبِيرُو»:

«إنَّ النَّـدَمَ دَلِيلُ الإِخْلَاصِ. وَقَدْ صَفَحْـتُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، بَعْدَ أَنْ صَفَتْ نُفُوسُهُمْ. فَأَحْضِرْهُمْ إِلَيَّ - يا عزيزي «آرْيِلُ» - فَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَةِ شَقِيقِي «أَنْطُنْيُو» وَأَصْدِقائِي الْقُدَمَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ.

أَسْرِعْ - يا «آرْيِلُ» - فَحَسْبُهُمْ ما لَقُوا مِنْ عَنَتٍ وَشِدَّةٍ (مَشَقَّةٍ وَتَضْيِيقٍ) وَإِرْهاقٍ، وَتَكْلِيفٍ بِما لَا يُطاقُ».



الفَصْلُ الخامِسُ

١ ـ عَوْدَةُ «آرْيِل»

وَفي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ اسْتَخْفَى الْجِنِّيُّ «آرْيِلُ» عَنِ الأَنْظارِ؛ وَطارَ في الْجَوِّ. وَوَقَفَ «برُسْبِيرُو» يَرْتَقِبُ عَوْدَتَه بِفارِغِ الصَّبْرِ، وَقَدِ اشْتَدَّ شَوْقُهُ إِلَى رُؤْيَةِ رُفَقائِهِ الْقُدَماءِ.

وَبَعْدَ قَليلٍ سَمِعَ صَوْتَ مُوسِيقَى مُطْرِبَةٍ؛ فَعَلِمَ أَنَّ صَفِيَّهُ «آرْيِلَ» عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ. فَناداهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُعَجِّلَ بِإِحْضارِ ثَوْبِهِ وَسَيْفِهِ؛ لِيَبْدُوَ أَمامَ رُفَقائِهِ في زِيِّهِ الَّذِي أَلِفُوهُ مِنْه.

وَمَا فَعَلَ حَتَّى أَصْبَحَ «بُرُسْبِيرُو» في ثِيَابِ الإِمَارَةِ الَّتِي كانَ يَرْتَدِيهَا أَيَّامَ كانَ أَميرَ «مِيلانَ».

٢ ـ بُشْرَى الْخَلاصِ

ثُمَّ الْتَفَتَ «برُسبيرُو» إلى «آرْيلَ»، وَقالَ لَهُ:

«أَبْشِرْ، فَقَدْ دَنَتْ ساعَةُ الْخَلاصِ مِنَ الأَسْرِ، وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ سأَمْنَحُك حُرِّيَّتَك كامِلَةً، وأُطْلِقُكَ مِنْ إِسارِكَ، أَيُّها الرَّفِيقُ الْعَزِيزُ».

وَما سَـمِعَ «آرِيلُ» مِنْ سَيِّدِهِ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى وَشْكِ الْخَلاصِ مِنْ عُبُودِيَّتِـهِ، وَقَدِ اقْتَـرَبَ مَوْعِدُ الظَّفَـرِ بحُرِّيَّتِهِ، والانْطِلاقِ مِن إِسـارِهِ، حَتَّـى امْتَـلأَتْ نَفْسُـهُ غِبْطَةً وَسُـرُورًا وانْشِـراحًا؛ فَظَلَّ يُغَنِّـي مُبْتَهِجًا بِحُرِّيَّتِهِ الْقَرِيبَةِ.

٣- بَيْنَ «بُرُسْبِيرُو» وأَصْحَابِهِ

وَبَعْدَ قَليلٍ وَصَلَ أَصْحابُهُ إِلَيْهِ، فَكانَتْ مُفاجَأَةً عَجِيبَةً، وَمُباغَتَةً غَيْرَ مُنْتَظَـرَةٍ. وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ «جُنْزالُو» صَدِيقُـهُ الْحَمِيمُ، وَصَفِيُّهُ الْحَبِيبُ (الْمَتيـنُ الْـوِدادِ)، الَّـذي عُنِيَ بِأَمْـرِ «بُرُسْـبيرُو»، وأَحْضَرَ إِلَيْـهِ كُتُبَ السِّـحْرِ، وَوَضَعَ في سَفِينَتِهِ - إِلَى ذلِكَ - كَثِيرًا مِنَ الثِّيابِ والزَّادِ والْماءِ الْعَذْبِ، كَما عَلِمْتَ - أَيُّها الْقارِئُ الصَّغِيرُ - في أَوَّلِ هٰذِهِ الْقِصَّةِ.

وَقَدْ فَرِحَ «بُرُسْـبِيرُو» بِرُؤْيَـةِ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ الْكَرِيمِ، وَرَأَى شَـقِيقَهُ الْغادِرَ «أَنْطُنْيُو» الَّذِي سَلَبَهُ مُلْكَهُ، وَكانَ سببَ شَقائِهِ وَتَغْرِيبِهِ (تَشْتِيتِهِ وَإِبْعادِهِ). كَما رَأَى «أَلُنْزُو» مَلِكَ «نابولي»، و«سِبِسْـتِيانَ» شَـقِيقَ مَلِكِ «نابولي»، وَرَأَى مَعَهُمُ اثْنَيْنِ مِنْ سَـراةِ «نَابُولي» (سـادَتِها وأَشْـرافِها)، وَهُما: «أَدْرِيانُ» و«فَرَنْسِسْكُو».

وَما أَبْصَرَ هؤُلاءِ «بُرُسْبِيرُو» أَمامَهُمْ، حَتَّى تَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ والْفَزَعُ،



واسْتَوْلَى عَلَى نُفُوسِهِمُ الْخَوْفُ والْهَلَعُ.

وَحَـارُوا في أَمْرِهِـمْ، وَحَسِـبُوا أَنَّهُـمْ حالِمُونَ (ظَنُّوا أَنَّهُـمْ في عالَمِ الأَحْـلَامِ)؛ فَقَدْ كانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ «بُرُسْـبِيرُو» هَلَكَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمامَهُمْ غَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُمُ الذُّهُولُ.

٤ ـ حِوَارُ «بُرُسْبِيرُو» و«أَلُنْزُو»

والْتَفَتَ «بُرُسْبِيرُو» إلى «أَلُنْزُو» مَلِكِ «نابولي»، وَقالَ لَهُ:

«إِيـهِ يا «أَلُنْـزُو»! أَتَذْكُرُ صاحِبَكَ «بُرُسْـبِيرُو» أَميـرَ «مِيلانَ» الَّذِي ائْتَمَرْتَ بِهِ – مَعَ «أَنْطُنْيُو» – لِتَغْتَصِبَ مُلْكَهُ؟

إِنَّكَ تَشُكُّ في أَنَّني لا أزالُ حَيًّا أُرْزَقُ.

وَلَعَلَّكَ تَحْسَبُني طَيْفَ «بُرُسْبيرُو» (تَظُنُّني شَبَحَهُ وَخَيالَهُ).

وَلكِنَّني أُزِيلُ ما عَلِقَ بِنَفْسِـكَ مِنَ الْوَهْمِ، فَأُعانِقُكَ لِتَكُونَ على ثِقَةٍ مِن أَنَّ «بُرُسْبِيرُو» لا يَزالُ عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْهُ الْمَقادِيرُ إِلَى هذِهِ الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ).

وَمَدَّ «بُرُسْـبِيرُو» ذِراعَيْهِ إِلَى صَدِيقِهِ «أَلُنْزُو» لِيُعانِقَهُ، فَذَهِلَ، وَتَفَوَّهَ (نَطَقَ) بِكَلامٍ مُتَقَطِّعٍ، وَقَدْ أَفْحَمَتْهُ الْحَيْرَةُ فَأَسْكَتَتْهُ (مَنَعَتْ صَوْتَهُ مِنَ الظُّهُورِ)، وَقالَ:



«أَأَنْتَ «بُرُسْبِيرُو» حَقًّا؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ «بُرُسْبِيرُو» عَلَى قَيْدِ الْحَياةِ، وَأَنْ يَكُونَ في هذِهِ الْجَزِيرَةِ الْقَصِيَّةِ (الْبَعِيدَةِ)؟».

٥ - بَيْنَ «بُرُسْبِيرُو» و «جُنْزالُو»

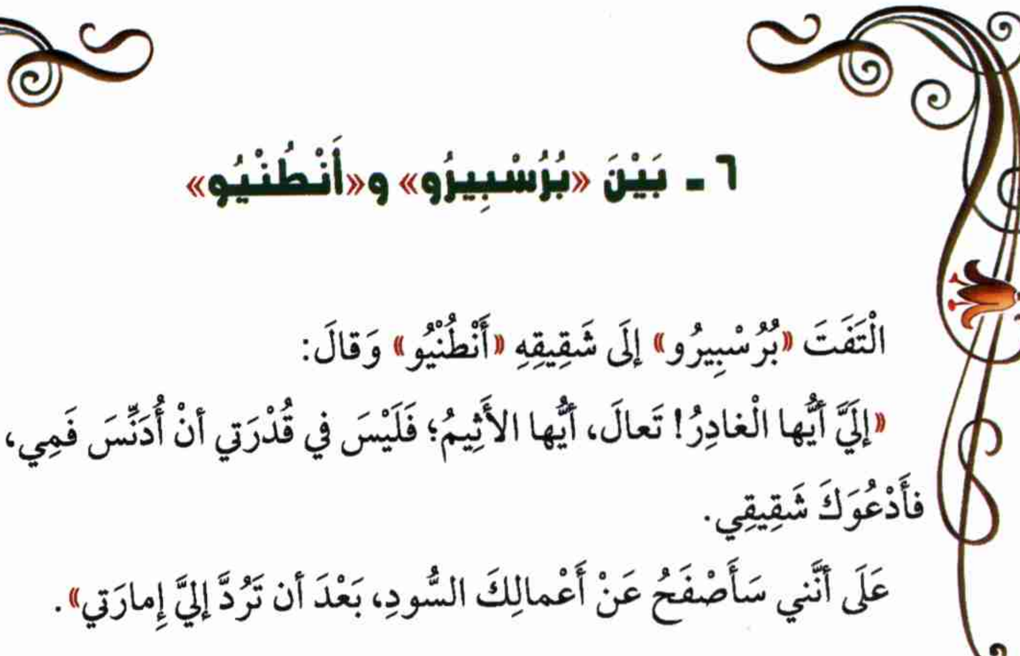
وَثَمَّةَ الْتَفَتَ «بُرُسْبِيرُو» إِلَى صَدِيقِهِ «جُنْزالُو»، وَمَدَّ إِلَيْهِ ذِرَاعَيْهِ، وَقالَ لَهُ:

«اِسْمَحْ لى - أَيُّها الصَّدِيقُ الْكَرِيمُ - أَنْ أُعانِقَكَ وأُقَبِّلَكَ».

وكان «جُنْزَالو» - صَدِيقُهُ الْحَمِيمُ - لا يَزالُ مُتَرَدِّدًا في مَعْرِفَتِهِ، فقالَ لَهُ:

«بِرَبِّكَ: أَصادِقٌ أَنْتَ فِيما تَقُولُ؟ أَأَنْتَ صَدِيقِي «بُرُسْبِيرُو»؟ أَلَسْتُ مَخْدُوعًا في ذلِكَ؟».

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْحاضِرِينَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَقَّقَ صِدْقَ ما رَآهُ أَمامَ عَيْنَيْهِ، لِمَا اسْتَوْلَى عَلَى نُفُوسِهِمْ مِنَ الاضْطِرابِ وَالارْتِباكِ. فقدِ اجْتَمَعَ الْخَوْفُ والْحَيْرَةُ والذُّهُولُ عَلَيْهِمْ، ورَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا الآنَ رَهْنَ رَحْمَةِ «بُرُسْبِيرُو»: سَيِّدِ الْجَزِيرَةِ، وَأَنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْهُ كافِيَةٌ أَنْ تُورِدَهُمْ مَوارِدَ التَّهْلُكَةِ. وَشَعَرُوا بِالنَّدَمِ وَوَخْزِ الضَّمِيرِ، وَهُمْ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ.



٦ ـ بَيْنَ «بُرُسْبِيرُو» و«أنطُنْيُو»

الْتَفَتَ «بُرُسْبيرُو» إلَى شَقِيقِهِ «أَنْطُنْيُو» وَقالَ:

«إلَيَّ أَيُّها الْغادِرُ! تَعالَ، أَيُّها الأَثِيمُ؛ فَلَيْسَ في قُدْرَتي أنْ أُدَنِّسَ فَمِي، فأَدْعُوَكَ شَقِيقِي.

عَلَى أَنَّني سَأَصْفَحُ عَنْ أَعْمالِكَ السُّودِ، بَعْدَ أن تَرُدَّ إلَيَّ إمارَتي».

٧ ـ دُعاءُ «أَلُنْزو»

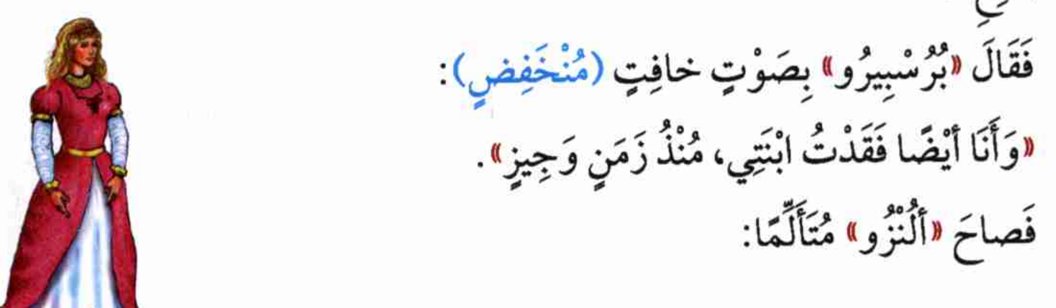
وهُنا انْبَرَى «أَلُنْزو» للْكَلامِ، فَقالَ لِصاحِبِهِ «بُرُسْبيرُو»:

«لَقَدْ حَلَلْتُ هذِهِ الْجَزِيرَةَ مُنْذُ بِضْعِ ساعاتٍ، فَخَبِّرْني: مَتَى حَلَلْتَها أَنْتَ؟ فَإِنِّي فَقَدْتُ فِيهَا وَلَدِيَ العزِيزَ «فِرْدِنَنْدَ»، وَأَرْجُو أنْ تَكُونَ عارِفًا بِمَناحِيها (خَبِيرًا بِأَنْحائِها وَجِهاتِها)؛ لِتَبْحَثَ مَعِي عَنْ وَلَدِيَ الضَّائِعِ».

فَقَالَ «بُرُسْبِيرُو» بِصَوْتٍ خافِتٍ (مُنْخَفِضٍ):

«وَأَنَا أَيْضًا فَقَدْتُ ابْنَتِي، مُنْذُ زَمَنٍ وَجِيزٍ».

فَصاحَ «أَلُنْزُو» مُتَأَلِّمًا:



«يـا لَلسَّـماءِ! إِنِّي لأَدْعُـو اللهَ أَنْ يَكُـونَ وَلَـدِي وابْنَتُـكَ مُقِيمَيْنِ في «نابـولي»، وَأَنْ يُصْبِحَـا مَلِكَيْـنِ عَلَيْهـا، إذا كُتِبَـتْ لَهُـما السَّـلامَةُ مِنَ الْهَلاكِ».

وَما أَتَمَّ قَوْلَهُ، حَتَّى أَشـارَ «بُرُسْبِيرُو» إلى الصَّخْرَةِ، فانْفَتَحَتْ؛ وبَدَا خَلْفَها «فِرْدِنَنْدُ» و«مِيرَنْدا»!

٨ـ عَقْدُ الزَّواجِ

وَلَيْـسَ في قُـدْرَةِ إِنْسَـانٍ أَنْ يَصِفَ للْقَارِئِ ما مَلأَ قَلْـبَ «أَلُنْزُو» مِنَ السُّـرُورِ والْفَـرَحِ حِيـنَ وَجَدَ ولَـدَهُ، بَعْدَ أَنْ ظَـنَّ أَنَّ الْبَحْرَ قَـدْ طَواهُ، وأَنَّـهُ قَـدْ أَصْبَـحَ في عِـدَادِ الْمُغْرَقِينَ. فَأَقْبَلَ عَـلَى وَلَدِهِ يَضُمُّـهُ في حُنُوٍّ وَشَوْقٍ. وَقَدْ أُعْجِبَ بِجَمَالِ «مِيرَنْدا»، وامْتَلأَتْ نَفْسُهُ خَجَلًا مِنْ كَرَمِ «بُرُسْبِيرُو» وَصَفْحِهِ؛ فَعَاوَدَهُ إحْساسُهُ الْكَرِيمُ، وَشُعُورُهُ النَّبِيلُ.

وَزَالَ الْفَـزَعُ مِنْ قُلُـوبِ الْحَاضِرِينَ؛ فَأَقْبَلَ «أَلُنْزُو» عـلى «فِرْدِنَنْدَ» و«مِيرَنْدا»، وأَمْسَكَ بِيَدَيْهِمَا مُهَنِّئًا إِيَّاهُمَا بِالسَّلَامَةِ، وصاحَ قائِلًا:

«لِتَمْـلَإِ الأَحْزَانُ واليَأْسُ ـ في كُلِّ وقتٍ ـ قلْـبَ مَنْ لا يُبارِكُ لَكُما، وَلا يَغْتَبِطُ بِزَوَاجِكُمَا السَّعِيدِ».



٩ - صَفْحُ «بُرُسْبِيرو»

وهَـمَّ «أَنْطُنْيُـو» أَنْ يُظْهِرَ أَلَمَـهُ وحُزْنَهُ لِمَا وَقَعَ لأَخِيهِ «بُرُسْـبِيرُو»، فقاطَعَهُ «بُرُسْبِيرُو»، وقالَ لَهُ في نُبْلٍ وشَمَمٍ (إِباءٍ وَشَرَفٍ):

«دَعْنا مِنَ الْخَوْضِ في ذلك التَّارِيخِ القَدِيمِ؛ فَقَدْ عَفَوْتُ عَمَّا مَضَى كُلِّهِ!».

فَبَكَى «أَنْطُنْيُو» بُكاءً شَـدِيدًا، وَقَدْ كادَ النَّدَمُ يَسْحَقُ فُؤَادَهُ، والأَسَى يَمْحَقُهُ وَيُفَتِّتُ قَلْبَهُ، بَعْدَ ما سَمِعَهُ ورَآهُ مِنْ كَرَمِ شَقِيقِهِ «بُرُسْبِيرُو».

أَمَّـا «أُلُنْزُو» فَقَـدْ جَفَّفَ دُمُـوعَ عَيْنَيْهِ خُفْيَـةً، وَقَدْ أَيْقَـنَ (عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِيـنِ) - مِمَّـا حَـدَثَ - أَنَّ مَمْلَكَـةَ «نابـولي» سيَسْـتَوْلي عَلَى عَرْشِـها الْعَرُوسَانِ.

وَقَدْ شَـكَرُوا جَمِيعًا لِتِلْكَ الْعِنَايَةِ الإِلهِيَّةِ ما قَيَّضَتْهُ لَهُمْ مِنْ سُـرُورٍ وابْتِهَاجٍ، وما هَيَّأَتْهُ مِن تَوْفِيقٍ في عَقْدِ زَوَاجِ الْعَرُوسَيْنِ السَّعِيدَيْنِ.



١ ـ وَداعُ الْجَزيرَةِ

رَأى «بُرُسْبيرُو» أَنَّ جَميعَ أَمانِيِّهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ، فَتَأَهَّبَ (اسْتَعَدَّ) لِلسَّفَرِ مَعَ رُفَقائِهِ. وَأَصْلَحَ «آرْيِلُ» سَفينَةَ الْمَلِكِ، وَأَيْقَظَ مَلَّاحيها مِنْ نَوْمِهِمُ الْعَميقِ.

وَدَعاهُمْ «بُرُسْبيرُو» إِلَى كَهْفِهِ جَميعًا، فَقَضَوْا فيهِ لَيْلَةَ أُنْسٍ وَسُرُورٍ.

وَلَمَّا لاحَ الصَّباحُ، خَلَّفَ (تَرَكَ) «بُرُسْبيرُو» كُتُبَ سِحْرِهِ في الْجَزيرَةِ، وَحَطَّمَ عَصاهُ السِّحْرِيَّةَ (كَسَّرَها)، وَأَطْلَقَ سَراحَ الْجِنِّ الَّذينَ كانُوا في أَسْرِهِ (أعادَ الْحُرِّيَّةَ إِلَى الْمَسْجُونينَ مِنْهُمْ)، وَعَفا عَنْ «كَلِيبانَ»، وترك لَهُ جَزيرَتَهُ.

٢ ـ أُغْنِيَّةُ «آرْيِلَ»

ثُمَّ دَعا «آرْيِلَ»، وَمَنَحَهُ حُرِّيَّتَهُ الَّتي وَعَدَهُ بِها، بَعْدَ أَنْ شَكَرَ لَهُ إِخْلاصَهُ وَوَفاءَهُ.

فَفَرِحَ «آرِيل»، وَشَكَرَ لِسَيِّدِهِ أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَدَعَا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ. وَلَمْ يُطِقْ أَنْ يَكْتُمَ فَرَحَهُ وَسُرُورَهُ؛ فَانْطَلَقَ يُغَنِّي بِصَوْتِهِ السَّاحِرِ:

«الآنَ حُـــقَّ لِيَ الطَّـــرَبْ وَبَلَغْتُ - مِنْ دَهْرِي - الأَرَبْ

سَـــأَكُـــونُ حُـــرًّا مُطْـــلَقًا وَأَطِيرُ مِنْ فَـــوْقِ السُّحُـبْ

يا رِفَاقِي تَمَّ لِي الْيَوْمَ هَنائِي وَسُرُورِي

لَـنْ أُلَاقِي في حَـياتي مِنْ شَقاءٍ وَنَكِيرِ

يَـــا رِفَـــاقِي هَنِّئُـــونِي بَعْـــدَ أَنْ نِلْـــتُ السَّعَـــادَهْ

وَجَـــدِيـــرٌ بِالتَّهَـــانِي كُـــلُّ مَـــنْ نَـــالَ مُـــرادَهْ

سَـــوْفَ أَمْشِـي في اخْتِـيالِ وَتَـــأَنِّي، سَـــوْفَ أَمْـــرَحْ

تَـــمَّ لِي أُنْسِـي فَمَـــالي لا أُغَـــنِّي حِـينَ أَفْـــرَحْ؟

***

تَمَّ لِي أُنْسِي، وَأَدْرَكْـتُ مُرادِي وَأَتَى يَوْمُ خَلاصِي مِنْ إِسارِي

سَوْفَ أَقْضِي كُلَّ لَيْلِي وَنَهارِي طائِرًا كالنَّحْلِ أَشْـدُو كالْهَـزارِ

بَيْنَ زَهْرِ الرَّوْضِ، أَوْ فَوْقَ الرَّوابِي في مُتُونِ السُّحْبِ أَوْ مَوْجِ الْبِحَارِ

حُقَّ لِي أَنْ أَطْرَبا حُقَّ لِي أَنْ أَلْعَبا

فَلَقَدْ تَمَّ رَجَائِي وَبَلَغْتُ الأَرَبا!».



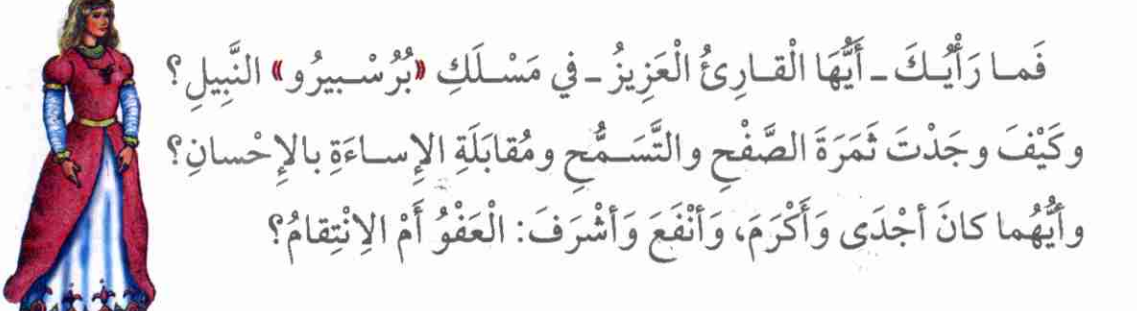
٣ـ في مَدِينَةِ «مِيلانَ»

وَبَعْدَ قَليلٍ أَقْلَعَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، وكانَتِ الرِّيحُ مُعْتَدِلَةً والْجَوُّ صافِيًا. وكانَ «آرْيِلُ» يُغَنِّيهِمْ وَيُسَاعِدُهُمْ، حَتَّى وَصَلُوا إلى «نابولي» سالِمِينَ. وَقَضَوْا حَيَاتَهُمْ ـ بَعْدَ ذلِكَ ـ في «مِيلانَ» هانِئِينَ. واسْتَرَاحَ بالُهُمْ، وسادَ الْوِفَاقُ أَهْلَ «برُسْبيرُو» وذَوِيهِ، وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُفَكِّرُ في أَذِيَّةِ صاحِبِهِ، أَوْ تَنْغِيصِ عَيْشِهِ، والْكَيْدِ لَهُ.

وَتَمَّ في «مِيلانَ» عُرْسُ «مِيرَندا». وَلَمْ يَنْسَ «أَنْطُنْيُو» و«أُلُنْزُو» كَرَمَ «بُرُسْبيرُو» وصَفْحَهُ الْجَمِيلَ، وعَفْوَهُ عَنْ ذُنُوبِهِمَا، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْهُمَا.

أَمَّا «بُرُسْبِيرُو» فَقَضَى شَيْخُوخَتَهُ وادِعًا مَسْرُورًا بِتَحْقِيقِ آمالِهِ، وَنَجاحِ مَساعِيهِ.

٤ـ ثَمَرَةُ الصَّفْحِ



فَما رَأْيُكَ ـ أَيُّهَا الْقارِئُ الْعَزِيزُ ـ في مَسْلَكِ «بُرُسْبيرُو» النَّبِيلِ؟ وكَيْفَ وجَدْتَ ثَمَرَةَ الصَّفْحِ والتَّسَمُّحِ ومُقابَلَةِ الإِساءَةِ بالإِحْسانِ؟ وأَيُّهُما كانَ أَجْدَى وَأَكْرَمَ، وَأَنْفَعَ وَأَشْرَفَ: الْعَفْوُ أَمِ الانْتِقامُ؟

تُرى لَوِ اسْتَسْلَمَ «بُرُسْبِيرُو» لِغَضَبِهِ، وَعَزَمَ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ، والتَّنْكِيلِ بِهِمْ، أَكَانَ يَصِلُ إلى هذِهِ النَّتائِجِ الْبَاهِرَةِ، ويَظْفَرُ بِتِلْكَ الثِّمَارِ الطَّيِّبَةِ؟

ولكِنَّهُ كَسَبَ قُلُوبَ أَعْدَائِهِ بَعْدَ أَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ، وتَجاوَزَ عَنْ إِساءَتِهِمْ وَغَدْرِهِمْ؛ فَكانَ لَهُ فَوْزُ الْمُحْسِنِ الْكَرِيمِ، وَقَضَى حَيَاتَهُ في مَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ.

انتهت القصة





قُطوفٌ من الآراء
في مكتبة الكيلاني للأطفال

«... الْأُسْتاذُ الْكِيلانِيُّ كَعَقْرَبِ الثَّواني: قَصِيرٌ، وَلكِنَّهُ سَرِيعُ الْخُطَى، مُنْتِجٌ، يَأْتي بِدَقائِقِ الْأُمورِ...».

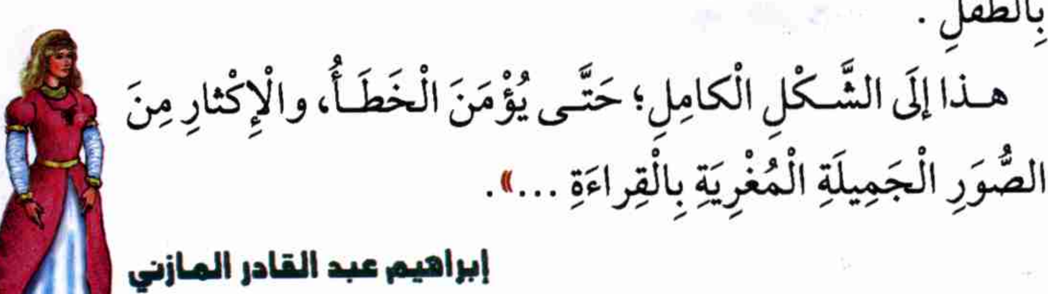
شوقي

«... وَهَكَذا نَجَحْتَ - يا أُسْتاذُ - في أَنْ تُحَبِّبَ إِلَى الْأَطْفالِ مَكْتَبَتَهُمْ وَتُغْرِيَهُمْ بِالْمُطالَعَةِ...».

أحمد لطفي السيد

«... وتَمْتازُ تَوالِيفُ الْكِيلانِيِّ بِالْبَساطَةِ في التَّعْبِيرِ، والصِّحَّةِ في الْأَلْفاظِ، والرِّقَّةِ في التَّراكِيبِ، والدِّقَّةِ في الْأَداءِ، والسَّلاسَةِ والسُّهولَةِ، مَعَ اجْتِنابِ كُلِّ غَرِيبٍ ونابٍ، ومَعَ تَوَخِّي التَّدَرُّجِ بِالطِّفْلِ.

هذا إِلَى الشَّكْلِ الْكامِلِ؛ حَتَّى يُؤْمَنَ الْخَطَأُ، والْإِكْثارِ مِنَ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ الْمُغْرِيَةِ بِالْقِراءَةِ...».



إبراهيم عبد القادر المازني

«... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْأُسْتاذِ الْكِيلانِيِّ إِلَّا أَنَّهُ الْمُبْتَكِرُ في وَضْعِ مَكْتَبَةِ الْأَطْفالِ بِلِسانِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ، لَكَفاهُ فَخْرًا بِما قَدَّمَهُ لِرَفْعِ ذِكْرِه، وَما أَحْسَنَ بِهِ إِلَى قَوْمِهِ وَعَصْرِهِ...».

خليل مطران

«... إِنَّنِي أُشْهِدُ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَمامَ خَلْقِهِ، بِأَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ حِكْمَةُ التَّرْبِيَةِ مِنْ طَرِيقِ كُتُبِ التَّعْلِيمِ هُوَ الْأُسْتاذُ «كامل كيلاني». وسَتَشْهَدُ هَذِهِ النَّهْضَةُ بِهذا، يَوْمَ يَمُدُّ مَدُّها ويَجِدُّ جِدُّها ...».

البشير الإبراهيمي

«... وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَأْتِيَ الْيَوْمُ الَّذِي تَصِيرُ فِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَلِيقَةً عِنْدَ مُتَعَلِّمِينا.

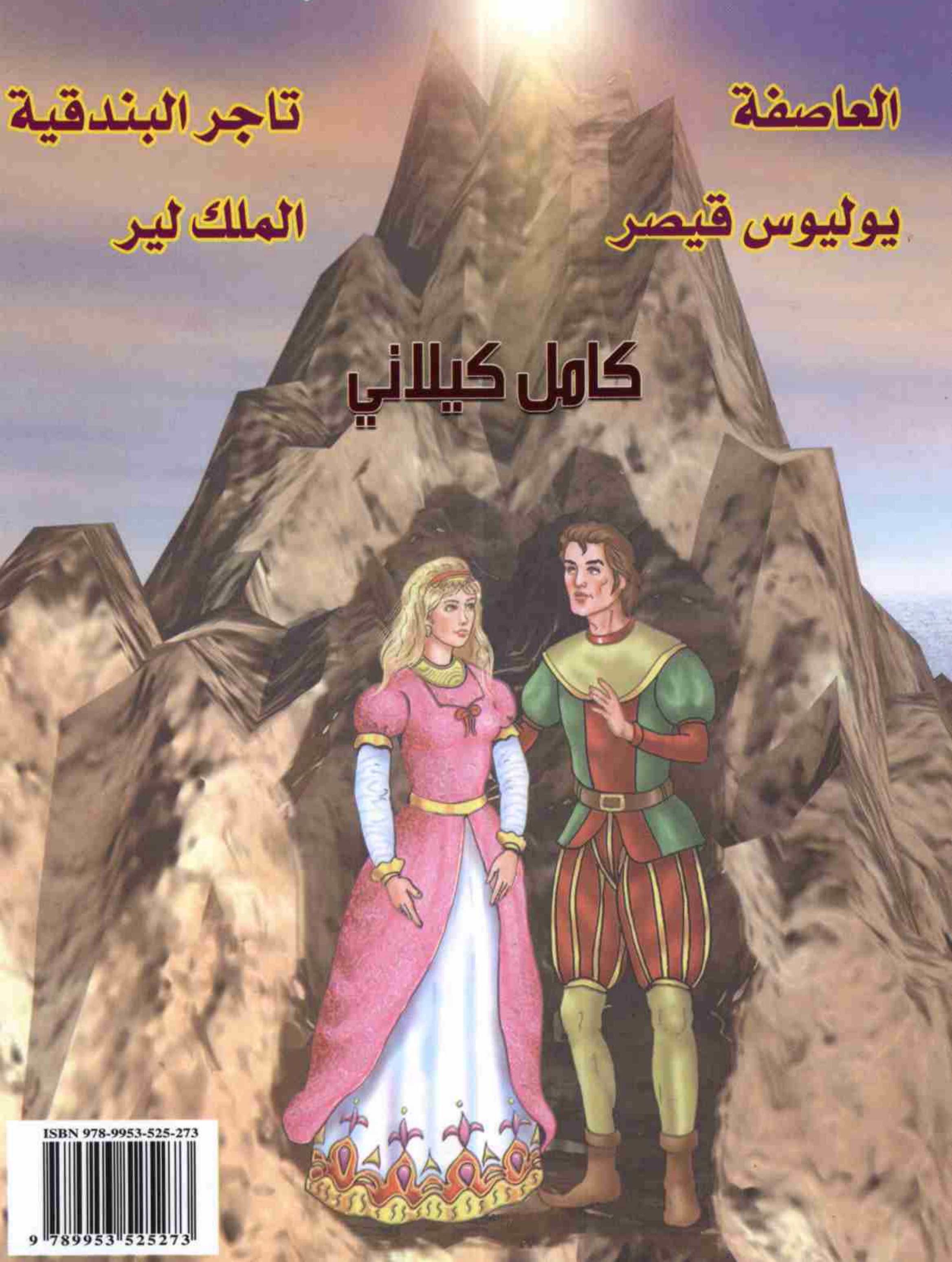
فَإِذا قُيِّضَ لَها ذلِكَ، كانَ الْفَضْلُ راجِعًا في مُعْظَمِهِ إِلَى كُتُبِ الْأُسْتاذِ الْكِيلانِيِّ...».

دكتور/ علي مصطفى مشرفة

«... أُهَنِّئُكُمْ بِهَذا الْعَمَلِ الْمُبْدَعِ الْفَرِيدِ، الَّذِي قُمْتُمْ بِهِ بِإِعْدادِكُمْ هذِهِ الْمَجْمُوعَةَ مِنَ الْكُتُبِ...».

دكتور/ ماكلانهن

قصص شكسبير



ISBN 978-9953-525-273
9 789953 525273